مجلة
كلية البنات الأزهرية بالعاشر
من رمضان

تفسير المفردة القرآنية عند الإمام الكسائي
المتوفى سنة (189هـ) – عرض وتحليل–

إعداد الدكتورة

منى توني عنتر أحمد

المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن

كلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان–جامعة الأزهر

العدد التاسع ديسمبر 2024 م

الترقيم الدولي (3607–2636)

الترقيم الدولي الإلكتروني(3615–2636)

رقم الإيداع بدار الكتب (2024/24329)

تفسير المفردة القرآنية عند الإمام الكسائي المتوفى سنة (189هـ) – عرض وتحليل–

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث جهود إمام من أئمة القراءات واللغة في تفسير المفردة القرآنية، ألا وهو الإمام (أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي الكوفي) شيخ الكوفة وإمامها، وأحد القراء العشرة، بهدف الكشف عن الجهد العلمي لهذا الإمام في خدمة المفردة القرآنية والتأصيل لمعناها، خاصة وأنه من أوائل الذين عنوا بمعاني القرآن فذكرت كتب التراجم أنه صنف كتابا سماه (معاني القرآن) وإن كان تصنيفه لم يصل إلينا فقد جاء جزء كبير منه في كتب التفسير وعلوم القرآن، ومفردات اللغة، وتوجيه القراءات، والوقف والابتداء، فدل ذلك على أنه رحمه الله عالم موسوعي لم يقف عند حد الرواية بل تجاوز ذلك فأحاط بعلم الدراية تفسيرا وبيانا.

ويهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على الجهد العلمي، والتراث الموسوعي الذي خلفه العلامة أبو الحسن الكسائي في بيان معاني الكلمات القرآنية ودلالتها، وذلك من خلال الآتي:

أولا– بيان الجهد العلمي للإمام الكسائي في تفسير القرآن الكريم.

ثانيا– تحليل القول الذي ارتآه الكسائي من خلال نماذج مختارة.

ثالثا– إظهار القيمة العلمية لأقوال الكسائي وتحريراته المفردة القرآنية ودلالتها.

وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة.

تمهيد ويشمل: حركة التفسير منذ نشأته وحتى عصر الكسائي ثم الفصل الأول: دراسة موجزة لحياة أبي الحسن الكسائي ونشأته العلمية، ثم الفصل الثاني وفيه جهود الإمام الكسائي في تفسير المفردة القرآنية –نماذج مختارة– وقد تضمن ستة مباحث: في تفسير المفردة القرآنية، في إعراب المفردة القرآنية، في توجيه القراءات الواردة المفردة القرآنية، في

التفسير بالمأثور من حديث رسول اللهρ، جهود الكسائي بما أثر من لغة العرب، وفي تعليل الوقوف.

ثم نتائج البحث التي من أهمها أن من أئمة القراءات العشر من لم يقتصر على إتقان الرواية فقط، بل أتقن الرواية والدراية، وأعمل أدواته العلمية في معرفة المراد من المفردة القرآنية قدر الطاقة البشرية، كما كان من أهمها أن الإمام الكسائي يعد من السابقين في التصنيف في فن معاني القرآن مما يدل على تبحره في علوم الرواية والدراية.

الكلمات المفتاحية: أبو الحسن، الكسائي، تفسير، المفردة، القرآنية، دراسة، تحليل.

The Interpretation of Qur'ânic Terms by Imam Al-Kisâ'i (d. 189 AH): A Presentation and Analysis

Abstract

This study focuses on the efforts of one of the prominent scholars of Qur'ânic recitations and language، Imâm Abu Al-Ḥasan Ali bin Ḥamza Al-Kisâ'i Al-Kufi، who was the Sheikh and Imâm of Kufa، and one of the ten recognized Qur'ânic reciters. The study aims to highlight the scholarly contributions of Imâm Al-Kisâ'i in the interpretation and contextualization of Qur'ânic lexemes، recognizing him as one of the early scholars dedicated to the meanings of the Qur'ân. Although his book "Meanings of the Quran" did not survive in its entirety، much of its content is preserved in books on Qur'ânic exegesis، Qur'ânic sciences، language lexicons، Qur'ânic recitation directions، and guidelines for pausing and starting in recitation، indicating his vast knowledge beyond mere transmission to in-depth comprehension and explanation. The study also aims to shed light on Imâm Al-Kis'âi's scholarly heritage and his extensive contributions to the

interpretation of Qur'ânic lexemes، with the following objectives:

Highlighting Imâm Al-Kis'âi's scholarly efforts in interpreting the Qur'ân.

Analyzing his interpretations through selected examples.

Demonstrating the academic value of Al-Kis'âi's interpretations and elucidations of Qur'ânic vocabulary.

The study is divided into an introduction، a preface، two chapters، and a conclusion. The preface covers the development of Qur'ânic exegesis from its inception to Al-Kis'âi's era. The first chapter provides a brief investigation of Al-Kis'âi's life and academic background. The second chapter، divided into six sections، explores his efforts in interpreting Qur'ânic lexemes through selected examples. These sections include: the interpretation of Qur'ânic lexeme، grammatical analysis of Qur'ânic lexeme، directing the readings of Qur'ânic lexeme، interpretation through the Ḥadīth of the Prophet ﷺ، Al-Kis'âi's efforts influenced by the Arabic language، and justifications for pausing and resuming in recitation.

The study concludes with key findings، including that some of the ten recognized Qur'ânic reciters did not merely master transmission but also comprehension، utilizing scholarly tools to understand the intended meaning of Qur'ânic lexeme to the best of human ability. Additionally، Imâm Al-Kis'âi is recognized as one of the pioneers in the field of Qur'ânic semantics، indicating his profound knowledge in both transmission and interpretation.

Keywords: Abu Al-Ḥasan، Al-Kis'âi، Interpretation، Qur'ânic Lexeme، Investigation، Analysis.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله —صلى الله عليه وسلم– وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واهتدى بهديه إلى يوم الدين...

أما بعد...

فإن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة، والرسالة الباقية، يقص أحسن القصص، ويترك في النفوس أعظم الأثر، يقول التي هي أحسن، ويهدى للتي هي أقوم، وكتاب هذا بعض شأنه لا بد أن يمثل شرفا لمن تنزل على قلبه، وفخرا عظيما لمن أنزل إليهم...

ومن هنا أقبل المسلمون على كتاب الله –تعالى– منذ أول لحظة من نزوله يتلون آياته، ويتدبرون أحكامه، ويتدارسونه آناء الليل وأطراف النهار.

وقد سار العلماء على مناهج مختلفة، وطرق شتى في بذل الجهد لاستخراج كنوز القرآن الكريم، وتنوعت الدراسات القرآنية مع نهضة العلوم وتطورها فدوّن علم التفسير، وتعددت ألوانه ما بين تفسير تحليلي، وموضوعي، وتفسير بالمنقول، وتفسير بالمعقول، وظهرت كذلك الدراسات التي تتناول علوم القرآن الكريم، ومناهج مفسريه، فأصبح للباحثين في الدراسات القرآنية حقول متعددة تثمر أفكارا قرآنية، وتوصل إلى نتائج بحثية يظهر من خلالها الجهد الذي بذله سلف الأمة وخلفها في خدمة كتاب الله تعالى.

ومن بين هذه الحقول العلمية التي تثمر أفكارا علمية نافعة، حقل النظر في تراث السابقين، وجُهد المتقدمين، الذين جمعوا أدوات التفسير ، وبذلوا الجهد في الوقف والابتداء على مراد الله —تعالى– من كتابه، واستفرغوا الطاقة في استخراج أسرار الوحي الكريم، مفردات وتراكيبا، وحقيقة، ومجازا، وهداية وإعجازا، فتنافسوا في هذا المضمار

تنافسا شريفا، وارتقوا بذلك مرتقى منيفا، ومن الكواكب الدرية التي لمعت في سماء خدمة كتاب الله- تعالى- الإمامُ العلمُ (أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الكسائي الكوفي) شيخ القراءة، وإمام العربية، صاحب الشهرة التي انتشرت في المشرق والمغرب انتشار ضوء الشمس في الآفاق، حتى أصبح رأسا من رؤوس العلم، ومرجعا من مراجع اللغة، وعلما من أعلام المقرئين والمحققين.

وقد قصدت في هذا البحث إلى إبراز جانب من جوانب الحياة العلمية الزاخرة لهذا العَلَم الجليل، وهو ما أُثر عنه من أقوال في تفسير المفردة القرآنية وبيان معناها، فمن المعلوم أن الإمام أبا الحسن الكسائي – رحمه الله- صال وجال في جمع القراءات وتحريرها، وبيان متواترها من شاذها، لكنه –رحمه الله- وبأدنى نظر في تراثه نلحظ أنه لم يتوقف عند تحرير الضبط والنطق، وإنما تطرق –رحمه الله – كذلك للاهتمام بالمعنى فصنف في المقطوع والموصول، واجتهد في بيان علل الوقوف، ومن الأدلة على ذلك أيضا اهتمامه بتفسير المفردة القرآنية بما حصله من لغة العرب ولهجاتها وهو ما أقصد إلى بيانه، والكشف عن ملامحه، وسبر أغواره فاستخرت الله-تعالى- وسألته التوفيق، واستشرت أهل العلم ، وعنونت البحث بـ

(تفسير المفردة القرآنية عند الإمام الكسائي المتوفى سنة (189هـ) – عرض وتحليل-)

راجية من الله أن يمدني بالتوفيق وسداد القول وأن يجعل عملي محل قبول عنده، وإسهاما في خدمة كتابه الكريم إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أهمية البحث وأسباب اختياره:

ترتكز أهمية هذا البحث في كونه يتناول موضوعا جديدا يبرز دور أحد أئمة القراءة واللغة في فهم وتدبر القرآن الكريم، ويمكن إيجاز ذلك في النقاط التالية:

أولا- الكشف عن المجهود العلمي للإمام الكسائي في بيان معنى الكلمة وتحليلها.

ثانيا– بيان القيمة العلمية لما تركه الإمام الكسائي من ثروة علمية في مجال معني المفردة القرآنية.

ثالثا–بيان أن أئمة القراءة لم يكن جهدهم مقصورا على تحرير القراءة وضبطها فقط وإنما كان لهم باع في معرفة المعنى.

رابعا– أن دراسة الأقوال وتحليلها تعطي دربة للباحث وخبرة في سبر أغوار أقوال العلماء و معرفة منهج كل منهم وإضافته في فهم كتاب الله –تعالى–.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على جانب من الجهد العلمي، والتراث الموسوعي الذي خلفه العلامة أبو الحسن الكسائي في ببيان معاني الكلمات القرآنية ودلالتها، وذلك من خلال الآتي:

أولا– بيان الجهد العلمي للإمام الكسائي في تفسير القرآن الكريم.

ثانيا– تحليل القول الذي ارتآه الكسائي من خلال نماذج مختارة.

ثالثا– إظهار القيمة العلمية لأقوال الإمام الكسائي وتحريراته المفردة القرآنية ودلالتها.

الدراسات السابقة حول هذا الموضوع:

لم يغفل الباحثون الكتابة عن هذا العلم الجليل، والإمام الكبير إمام الكوفة، وإنما طالت يد البحث الإمام الكسائي في شتى العلوم الذي برع فيها، ويعنينا هنا البحث عن المؤلفات التي تناولت مجهود الإمام الكسائي في بيان معنى اللفظ القرآني الحكيم، ولم أقف بعد على بحث تناول هذا الموضوع باستفاضة، إلا ما قام به الأستاذ الدكتور/ عيسى شحاتة عيسى من بناء وإعادة لكتاب الإمام الكسائي (معاني القرآن) وهو من الكتب المهمة في دراسة الجانب اللغوي لألفاظ القرآن، اعتنى فيه مؤلفه بجمع كتاب معاني القرآن للكسائي، وصياغته وتوثيق الأقوال المنسوبة للكسائي في هذا المضمار .

لكن لم أقف بعد على بحث جمع الأقوال وخصها بالدراسة والتحليل، لهذا اعتنيت في هذا البحث باختيار بعض النماذج وعرضها وتحليلها والتي لم أرها في الدراسات السابقة.

منهج البحث:

اعتمدت في هذه الدراسة منهجا جمعت فيه بين المنهج الاستقرائي والتحليلي، حيث تم استقراء أقوال الكسائي في التفسير من مظانها في الكتب، ثم اختيار نماذج منها للعرض والتحليل، نظرا لطبيعة البحث، وتتضح معالم هذا المنهج فيما يلي:

أولا- جمع المادة العلمية اللازمة للإلمام بجوانب الدراسة.

ثانيا- قمت باختيار نماذج معينة في كل مبحث نظرا لطبيعة البحث وحدود نشره.

ثالثا- النظرة التحليلية لأقوال الإمام الكسائي في الأقوال التي تم عرضها.

رابعا- التزمت بالحيادية والموضوعية في الإلمام بجوانب البحث.

خامسا- تحقيق ضوابط البحث العلمي قدر الاستطاعة من تخريج الآيات والأحاديث والآثار، وترجمة الأعلام ، وتعريف بالمصطلحات.

سادسا- عزو النصوص إلى مصادرها الأصيلة فبركة العلم في نسبته إلى أهله، وذلك بذكر الكتاب ومؤلفه، وتاريخ طبعته ومكانها - إن وجد- وذلك عند أول ذكر للمرجع.

هذا وقد انتظمت خطة البحث فيما يلي:

مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة.

مقدمة وفيها: أهمية البحث ، وأسباب اختياره ، ومنهج العمل فيه ، والدراسات السابقة في موضوعه.

تمهيد ويشمل: حركة التفسير منذ نشأته وحتى عصر الإمام الكسائي .

الفصل الأول: دراسة موجزة لحياة الإمام أبي الحسن الكسائي ونشأته العلمية.

المبحث الأول: ترجمة موجزة للإمام الكسائي.

المطلب الأول: اسمه ونسبه.

المطلب الثاني: مولده ومكان ولادته.

المطلب الثالث: شيوخه.

المطلب الرابع: تلامذته.

المطلب الخامس: وفاته ومكان وفاته.

المبحث الثاني: الأثر العلمي للإمام أبي الحسن الكسائي.

المطلب الأول: نشأته ومدرسته العلمية.

المطلب الثاني: مصنفاته العلمية.

المطلب الثالث: ثناء العلماء عليه.

المطلب الرابع: القيمة العلمية لأقوال الإمام الكسائي في التفسير ومعالم المنهج العام للإمام الكسائي في أقواله في التفسير.

الفصل الثاني: أقوال الإمام الكسائي في تفسير المفردة القرآنية –نماذج مختارة–.

المبحث الأول: أقوال الإمام الكسائي في تفسير المفردة القرآنية.

المبحث الثاني: أقوال الإمام الكسائي في إعراب المفردة القرآنية.

المبحث الثالث: أقوال الإمام الكسائي في توجيه القراءات.

المبحث الرابع: أقوال الإمام الكسائي في التفسير بالمأثور من حديث رسول الله –ρ–

المبحث الخامس: أقوال الإمام الكسائي في التفسير بما أثر من لغة العرب.

المبحث السادس: أقوال الكسائي الإمام في تعليل الوقف والابتداء.

ثم **الخاتمة** وتشمل أهم النتائج والتوصيات ومراجع البحث.

التمهيد

حركة علم التفسير منذ نشأته وحتى عصر الإمام الكسائي –رحمه الله–

يعد الإمام الكسائي من أعلام القرن الثاني الهجري، ذاك القرن الذي تطورت فيه مسيرة العلوم الشرعية تطورا مشهودا بما فيها علم التفسير، حيث انتقلت هذه العلوم من الاقتصار على المشافهة والرواية إلى التدوين والتصنيف، فأخذ علم التفسير نصيبا من هذا التطور وظهرت المصنفات التي تختص فقط بتفسير القرآن الكريم، أو أحد أبواب علوم القرآن مثل كتب الناسخ والمنسوخ، ويمكن إيجاز مراحل تطور علم التفسير منذ نشأته إلى عصر الإمام الكسائي في المراحل التالية:

المرحلة الأولى: التفسير في عهد الرسول –ρ– :

بدأ تفسير القرآن الكريم مصاحبا لنزول الوحي على النبي –ρ– إذ إن الغرض من نزول الوحي هو التطبيق والعمل، ولا يكون العمل على أحسن وجوهه إلا بفهم القرآن فهما صحيحا ومعرفة مراد الله–تعالى– منه، لهذا تكفل الحق –تباركت أسماؤه– للرسول –ρ– ببيان القرآن، فقال–تعالى– ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) ﴾ [القيامة: 16-19] ويمكن حصر أنوع التفسير في عهد الرسول –ρ– في نوعين:

الأول: تفسير القرآن بالقرآن، وهو أعلى أنواع التفاسير مرتبة؛ وأقواها حجة، لأن خير من يفسر الكلام قائله، وهو–سبحانه وتعالى– أعلم بمراده ، ولهذا النوع من التفسير صور شتى فمنه " حمل المجمل على المبين، المطلق على المقيد، والجمع بين الآيات التي ظاهرها التعارض"[1] أ.هـ

(1) **موسوعة التفسير قبل عهد التدوين**[ص: 273] المؤلف: محمد عمر الحاجي، ط. دار المكتبي – دمشق– الطبعة: الأولى(1427 هـ - 2007 م) باختصار.

الثاني: تفسير الرسول –ρ– حيث كان–ρ– يجيب على أسئلة الصحابة في بيان ما أشكل، وتفصيل ما أجمل، والنماذج على ذلك معروفة مشهورة[1].

المرحلة الثانية: التفسير في عهد الصحابة –رضوان الله عليهم– :

يعد التفسير المأثور عن الصحابة –رضي الله عنهم – من أهم أدوات الوصول إلى التفسير الصحيح، لأنهم شهدوا ملابسات نزول الوحي على رسول الله–ρ– وكان منهم من له قصة أو واقعة نزل على إثرها الوحي، فإذا لم يجد المفسر بغيته في تفسير القرآن بالقرآن ولا تفسير الرسول –ρ– فإنه يتجه لما جاء عن الصحابة –رضي الله عنهم– وقد عُني بالتفسير منهم عدد غير قليل، منهم "الخلفاء الأربعة، وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير"[2] أ.هـ

وقد تلقى العلماء تفاسير الصحابة –رضي الله عنهم– للقرآن بالقبول، بل رجحوا الأخذ به إذا كان من باب أسباب النزول، أو مما لا مجال للرأي فيه، وما كان من قبيل الاجتهاد فإن منهم من أخذ به لظن سماع الصحابي هذا التفسير من الرسول ρ ، ومنهم من توقف فيه لأن الاجتهاد محل للخطأ والصواب.

---

(1) منها ما أخرجه البخاري بسنده عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ: {حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ} عَمَدْتُ إِلَى عِقَالٍ أَسْوَدَ وَإِلَى عِقَالٍ أَبْيَضَ، فَجَعَلْتُهُمَا تَحْتَ وِسَادَتِي، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ فِي اللَّيْلِ فَلَا يَسْتَبِينُ لِي، فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّمَا ذَلِكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ. كتاب (التفسير) باب (بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ}) الحديث رقم (1916) **الجامع المسند الصحيح** لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط. دار طوق النجاة ط. الأولى (1422هـ)

(2) **الإتقان في علوم القرآن** [233/4] للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم [ت 1401 هـ]،الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: (1394 هـ- 1974 م)

المرحلة الثالثة: التفسير في عهد التابعين:

انتقل التفسير بعد انقضاء عهد الصحابة –رضي الله عنهم– وبدء عهد التابعين لمرحلة جديدة، حيث انتشر تلامذة الصحابة في الآفاق يروون ما أخذوه عنهم، ويجتهدون فيما لم يرد فيه نص ولا أثر، وصاحب ذلك ظهور التدوين في علم التفسير بداية من القرن الثاني الهجري، فانتشرت على إثر ذلك مدارس التفسير والتي كان من أهم روادها في ذلك العصر: سعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر(1)، وزيد بن أسلم(2)، وطاووس بن كيسان(3) –رحمهم الله– وآخرون ممن اشتهروا بنقل مرويات التفسير والاجتهاد فيه.

المرحلة الرابعة: التفسير في عصر التدوين:

وتعد هذه المرحلة من أهم المراحل في تاريخ علم التفسير حيث بدأ العلماء بتدوين مروياتهم، ومن المسلم به أن مرويات التفسير دونت في أول الأمر ضمن أبواب الحديث الشريف باعتبار أنها جزء من المرويات عن الرسول ρ والصحابة، ثم بعد ذلك استقلت مرويات التفسير فظهرت مصنفات في التفسير خاصة.

---

(1) مجاهد: مجاهد بن جبر، ويكنى أبا الحجاج مولى قيس بن السائب المخزومي. توفي سنة (102هـ). **الطبقات الكبرى** [20/6] لأبي عبد الله محمد بن سعد البصري، ط. دار الكتب العلمية – بيروت– ط. الأولى، (1410هـ - 1990 م)

(2) زيد بن أسلم: زيد بن أسلم العدويّ الإمام أبو عبد الله العمري المدني الفقيه، توفي سنة (136هـ). **طبقات المفسرين** للدوادي[182/1] لمحمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، ط. دار الكتب العلمية – بيروت

(3) طاووس بن كيسان: طاووس ابن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن الحميري مولاهم الفارسي يقال اسمه ذكوان وطاووس لقب ثقة فقيه فاضل من الثالثة مات سنة ست ومائة. **تقريب التهذيب**[182/1] أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني الناشر: دار الرشيد – سوريا ، ط. الأولى (1406 – 1986)

وقد كان للإمام أبي الحسن الكسائي – رحمه الله- نصيبٌ من التدوين في ذلك العصر فقد حفظت لنا كتب التراجم والفهارس أنه –رحمه الله- دوّن كتابا في (معاني القرآن) ليكون بذلك من أوائل الكتب التي ظهرت تحمل هذا العنوان مثل ما صنفه الفراء(1) والأخفش(2) والزجاج(3)والنحاس(4)، الذين صنفوا كتبا تحمل العنوان نفسه، وإن كان كتاب الإمام الكسائي لم يصل إلينا إلا أن أقواله وجهوده ما زالت متناقلة في كتب التفسير وعلوم القرآن، فقد ثبت أن هناك كتبا خمسة تحمل عنوان (معاني القرآن) وهي حسب ترتيب سنة الوفاة: (معاني القرآن) للإمام الكسائي، و(معاني القرآن) للفراء، و(معاني القرآن) للأخفش الأوسط، و(معاني القرآن) للزجاج، و(معاني القرآن) للنحاس، وصل إلينا منها أربعة، لكن مصنف الإمام الكسائي لم يصل إلينا وإنما جمعه الدكتور /عيسى شحاتة عيسى(5)،. والظاهر أن مصنف الإمام الكسائي أسبقها في التصنيف لولا ما ذكره الأخفش وحكاه عنه صاحب إنباه الرواة أنه كان يربي ولد الإمام الكسائي فطلب منه الإمام الكسائي أن يصنف في معاني القرآن، قال الأخفش(6):

---

(1) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الدّيلمي، أبو زكرياء الفرّاء، توفي سنة (207)، **إنباه الرواة على أنباه النحاة** [7/4] لجمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، ط. المكتبة العصرية، بيروت (الطبعة: الأولى، 1424 هـ)

(2) الأخفش: سعيد بن مسعدة أبو الحسن الأخفش الأوسط، توفي سنة (215هـ). **طبقات المفسرين** للداودي [191/1]

(3) إبراهيم بن السّريّ بن سهل أبو إسحاق الزّجاج، توفي سنة (311هـ). **طبقات المفسرين** للداودي [12/1]

(4) النحاس: أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس أبو جعفر المعروف بابن المرادي المصري النحوي، توفي سنة (337هـ). **طبقات الحفاظ** للسيوطي:[68/1] ط. دار الكتب العلمية – بيروت

(5) مدرس العلوم اللغوية –كلية الدراسات العربية– جامعة المنيا

(6) إنباه الرواة [37/2]

(وافيت مسجد الكسائي، فصلّيت خلفه الغداة، فلما انفتل من صلاته، وقعد في محرابه– وبين يديه الفرّاء والأحمر وهشام وابن سعدان– سلّمت عليه، وسألته عن مائة مسألة، فأجاب بجوابات خطّأته في جميعها ، فأراد أصحابه الوثوب عليّ، فمنعهم من ذلك، ولم يقطعني ما رأيتهم عليه ممّا كنت فيه ، فلما فرغت من المسائل قال لي الكسائي: بالله أنت أبو الحسن سعيد ابن مسعدة الأخفش؟ قلت: نعم، فقام إليّ، وعانقني وأجلسني إلى جانبه، ثم قال لي: أولادي أحبّ أن يتأدّبوا بك، ويخرّجوا على يديك، وتكون معي غير مفارق لي. وسألني ذلك فأجبته إليه ، فلما اتصلت الأيام بالاجتماع، سألني أن أؤلف له كتابا في معانى القرآن، فألفت كتابي في المعاني، فجعله إماما، وعمل عليه كتابا في المعاني، وعمل الفرّاء كتابه في المعاني عليهما). وما هذا البحث إلا محاولة لإعطاء تصور متكامل عن الجهود العلمية للكسائي في تفسير القرآن الكريم بجانب الدراسات الأخرى التي سبقت الإشارة إليها.

الفصل الأول

دراسة موجزة لحياة أبي الحسن الكسائي ونشأته العلمية

المبحث الأول

ترجمة موجزة للإمام الكسائي

المطلب الأول: اسمه ونسبه

المطلب الثاني: مولده ومكان ولادته

المطلب الثالث: شيوخه

المطلب الرابع: تلامذته

المطلب الخامس: وفاته ومكان وفاته

المبحث الثاني: الأثر العلمي للإمام أبي الحسن الكسائي

المطلب الأول: نشأته ومدرسته العلمية

المطلب الثاني: مصنفاته العلمية

المطلب الثالث: ثناء العلماء عليه

المطلب الرابع: القيمة العلمية لأقوال الإمام الكسائي في التفسير

المبحث الأول

ترجمة موجزة للإمام الكسائي

المطلب الأول

اسمه ونسبه

اسمه: أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز، الأسدي بالولاء الكوفي المعروف بالكسائي، المقرئ النحوي(1): وقيل في نسبه: "هو علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان"(2) .

لقبه: يلقب بالكسائي لكساء أحرم فيه، ذكر البغدادي في تاريخه عن عبد الرحيم بن موسى، قال: " قلت للكسائي: لم سميت الكسائي؟ قال: لأني أحرمت في كساء"(3).

---

(1) **إنباه الرواة على أنباه النحاة** [295/2]، **وفيات الأعيان** [295/2] لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ، ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ) ط. دار صادر – بيروت، **غاية النهاية** [535/1] للعلامة الشيخ شمس الدين ، أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)، ط. مكتبة ابن تيمية. **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**[162/2] للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) ط. المكتبة العصرية – لبنان / صيدا

(2) **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**[ص:58] لكمال الدين الأنباري (المتوفى: 577هـ)، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن الطبعة: الثالثة،(1405 هـ - 1985 م)، والنسب الأول هو الأشهر والأكثر ورودا في كتب التراجم

(3) **تاريخ بغداد** [345/13] لمؤلفه : أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ) طبعة: دار الغرب الإسلامي – بيروت (الطبعة الأولى، 1422هـ - 2002 م) وهناك رواية أخرى غير هذه الرواية المشهورة ذكرها البغدادي أيضا عن أبي بكر محمد بن يحيى بن سليمان المروزي، قال: سألت خلف بن هشام لم سمي الكسائي كسائيا؟ فقال: دخل الكسائي الكوفة، فجاء إلى مسجد السبيع، وكان حمزة بن =

المطلب الثاني

مولده ومكان ولادته

ذكرت كتب التراجم أن الإمام الكسائي –رحمه الله– تعود أصوله إلى الفرس، وهو من أولاد الفرس من سواد العراق، أما عن مولده فقد ولد كما جاء في إنباه الرواة[1] بقرية (باحمشا) ثم دخل الكوفة وهو غلام وكان مولده في حدود عام (120هـ) .

=

حبيب الزيات يقرئ فيه، فتقدم الكسائي مع آذان الفجر، فجلس، وهو ملتف بكساء من البركان الأسود (الحرير الخشن)، فلما صلى حمزة، قال: من تقدم في الوقت يقرأ، قيل له: الكسائي أول من تقدم، يعنون صاحب الكساء. وإلى الرواية الأولى أشار الشاطبي بقوله:

وأمّا عليّ فالكسائيّ نعته ... لما كان في الإحرام فيه تسربلا

حرز الأماني ووجه التهاني المعروف بمتن (الشاطبية) [ص: 4]البيت رقم (39) للعلامة القاسم بن فيره الشاطبي، طبعة دار الغوائي للدراسات القرآنية.

(1) **إنباه الرواة** [256/2]**معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار** [ص:73] للحافظ شمس الدين الذهبي، ط. دار الكتب العلمية (الطبعة الأولى 1417 هـ- 1997م)، وقرية (باحمشا) على شرق تقع نهر دجلة ، إلى مولد الكسائي بها أشار الحموي في معجم البلدان قائلا: (وروى محمد بن الجهم السّمّري عن الفرّاء أن أبا الحسن علي بن حمزة الكسائي المقري النحوي الإمام كان أصله من باحمشا هذه وأنه رحل إلى الكوفة وهو غلام). **معجم البلدان** [316/1] لشهاب الدين الحموي، ط. دار صادر، بيروت، ط. الثانية، (1995 م)

المطلب الثالث

شيوخه

تلقى الإمام الكسائي العلم على أيدي نخبة من الأعلام والأئمة منهم: جعفر الصادق[1] ، سليمان الأعمش[2]سفيان بن عيينة[3] ،حمزة بن حبيب الزيات[4] ،أبو بكر بن عياش[5] ، الخليل بن أحمد[6][7].

(1) جعفر بن محمد بن علي بن الشهيد أبي عبد الله ريحانة النبي –صلى الله عليه وسلم– وسبطه ومحبوبه الحسين بن أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب، توفي سنة (148هـ)، **سير أعلام النبلاء** [362/6] شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، ط.: دار الحديث– القاهرة (1427هـ–2006م)

(2) سليمان الأعمش: سليمان بن مهران الأعمش، الإمام أبو محمد الأسدي مولاهم، الكاهلي الكوفي الحافظ المقرئ، أحد الأئمة الأعلام. توفي سنة (148هـ).**تاريخ الإسلام** [383/2] للحافظ شمس الدين الذهبي ط. دار الغرب الإسلامي، ط. الأولى (2003 م)

(3) سفيان بن عيينة: سفيان بن عيينة، بن أبي عمران ويكنى أبا محمد. مولى لبني عبد الله بن روبية من بن هلال بن عامر بن صعصعة، توفي سنة (198هـ). **الطبقات الكبرى** [41/6]

(4) حمزة: حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام، أبو عمارة الكوفي مولى آل عكرمة بن ربعي التميمي الزيات أحد القراء السبعة، توفي سنة (156هـ). **معرقة القراء الكبار** [ص:66]

(5) أبو بكر بن عياش: أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي الإمام، أحد الأعلام مولى واصل الأحدب، توفي سنة (193هـ). **معرفة القراء الكبار** [ص:80]

(6) الخليل بن أحمد: الخليل بن أحمد بن عبد الرحمن أبو عبد الرحمن الفراهيدي الأزدي، توفي سنة (175هـ)، **إنباه الرواة**[381/1]

(7) **إنباه الرواة** [275/2]، سير أعلام النبلاء [554/7] للحافظ شمس الدين الذهبي، دار الحديث– القاهرة الطبعة: (1427هـ–2006م)

المطلب الرابع

تلامذته

وكذلك أخذ العلم عنه أئمة أعلام في العربية والقراءات منهم: أبو زكريا الفرّاء[1] وأبو عبيد القاسم بن سلّام[2] وأبو عمر حفص بن عمر الدّوريّ[3][4]

المطلب الخامس

وفاته ومكان وفاته

في زمان وفاة الإمام الكسائي رحمه الله أقوال، الأول: أنه توفي سنة (189هـ) عن سبعين عاما وهو أصح الأقوال، القول الثاني: أنه توفي سنة (180هـ) القول الثالث: أنه توفي سنة (182هـ)[5] أما عن مكان وفاته فقد مات بالريّ[6] بصحبة هارون الرشيد

---

(1) الفراء: يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الدّيلمي، أبو زكرياء الفرّاء، توفي سنة (207)، **إنباه الرواة** [7/4]

(2) القاسم بن سلام: القاسم بن سلّام بتشديد اللام أبو عبيد التركي البغدادي، مولى الأزد، توفي سنة (222هـ) وقيل غير ذلك، **طبقات المفسرين** [37/2]

(3) الدوري: حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان بن عدي بن صهبان ويقال صهيب أبو عمر الدوري الأزدي البغدادي النحوي الدوري الضرير، توفي سنة (240هـ) **غاية النهاية** [255/1]

(4) **سير أعلام النبلاء**[554/7] **غاية النهاية** [540/1]

(5) وهناك أقوال أخرى لم أتعرض لها لرجحان القول الأول عند علماء التراجم. قال ابن الجزري (واختلف في تاريخ موته فالصحيح الذي أرخه غير واحد من العلماء والحفاظ سنة تسع وثمانين ومائة). غاية النهاية [359/1]

(6) الري: بفتح أوّله، وتشديد ثانيه وهي مدينة مشهورة من أمّهات البلاد وأعلام المدن، **معجم البلدان**[116/2] وتقع الآن بدولة إيران جنوب شرق العاصمة طهران

بقرية أرنبويه متوجهين إلى خراسان ومات معه بالمكان المذكور محمد بن الحسن القاضي(1) صاحب أبي حنيفة(2) فقال الرشيد(3): دفنا الفقه والنحو بالري(4).

❁❁❁

(1) محمد بن الحسن: محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني مولاهم الكوفي الفقيه العلامة، مفتي العراقين. **تاريخ الإسلام** [954/4]

(2) أبو حنيفة: النعمان بن ثابت بن زوطا بن ماه، مات ببغداد سنة خمسين ومائة وهو ابن سبعين سنة. **طبقات الفقهاء** [ص:86] أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي ، ط. دار الرائد العربي، بيروت – لبنان

(3) هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس أبو جعفر– ويقال: أبو محمد– أمير المؤمنين، توفي سنة (193هـ)، **تاريخ دمشق** [285/73] لأبي القاسم علي بن المعروف بابن عساكر ، ط. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (1415 هـ – 1995 م)

(4) **غاية النهاية** [540/1]

المبحث الثاني

الأثر العلمي للإمام أبي الحسن الكسائي

المطلب الأول

نشأته ومدرسته العلمية

تبين للقارئ في ترجمة الإمام الكسائي –رحمه الله– والتي ذكرنا طرفا منها في المبحث السابق أنه نشأ نشأة علمية مميزة، خرجت إماما من أئمة القراءات وعلما من أعلام اللغة، ويمكن استخلاص مميزات النشأة العلمية للكسائي في النقاط التالية:

أولا– طلبه العلم منذ الصغر، وخروجه من قريته التي ولد بها إلى قلعة من قلاع العلم وهى الكوفة التي كانت تعد مع البصرة من أكبر المدارس العلمية.

ثانيا– قصده لكبار العلماء فكما ظهر في سرد جماعة من شيوخه أنه –رحمه الله– جلس إلى من كان ينتهي إليهم التدريس والتلقين فعرض القرآن على مقرئ الكوفة وإمامها(حمزة الزيات) وجلس في اللغة إلى الخليل بن أحمد ذاك العالم الموسوعي الذي أضاف الكثير للإمام الكسائي.

ثالثا– أنه كان شديد الإصرار على لزوم المشايخ وتأكيد العلم مشافهة وطول الصحبة بينهم وبينه وهذا ما نلمحه من عدة مواضع في ترجمة الإمام مثل:

– ما ذكره صاحب إنباه الرواة أنه سأل عمن يعلم النحو في الكوفة" فأرشدوه إلى معاذ الهراء[1] ، فلزمه حتى أنفد ما عنده"[2].

---

(1) معاذ الهراء: معاذ بن مسلم الهراء أبو مسلم، وقيل: أبو علي. مولى محمد بن كعب القرظي، من قدماء النحويين. **بغية الوعاة** [290/2]

(2) **إنباه لرواه**[258/2]

- جاء في بغية الوعاة: "ثم خرج إلى البصرة، فلقى الخليل وجلس في حلقته، فقال له رجل من الأعراب: تركت أسد الكوفة وتميمها وعندهما الفصاحة، وجئت إلى البصرة! فقال للخليل: من أين أخذت علمك هذا؟ فقال: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة، فخرج وقد أنفذ خمس عشرة قنّينة حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ. فلم يكن له همّ غير البصرة والخليل، فوجد الخليل قد مات، وقد جلس موضعه يونس النحوي(1)، فمرت بينهم مسائل أقرّ له يونس فيها موضعه وصدّره"(2).
- قال ابن الجزري في غاية النهاية: "أخذ القراءة عرضًا عن حمزة أربع مرات وعليه اعتماده"(3).
- والشاهد في هذه النصوص بيان صدق ملازمة الكسائي لشيوخه، وبراعته وصبره تحملا وأداء.
- أما عن مدرسته العلمية فهو بلا شك إمام مدرسة الكوفة وشيخها كما ظهر في ترجمته السابقة.

(1) يونس بن حبيب: يونس بن حبيب، العلامة أبو عبد الرحمن، الضبي مولاهم، البصري، إمام أهل النحو. توفي سنة (183هـ) **تاريخ الإسلام** [1014/4]

(2) **بغية الوعاة** [163/2]

(3) **غاية النهاية** [535/1]

المطلب الثاني

مصنفاته العلمية

أثرى الإمام الكسائي –رحمه الله– المكتبة الإسلامية بتصانيف مفردة في بابها منها: (وله كتب كثيرة منها كتاب (معاني القرآن)، وكتاب (مختصر في النحو)، وكتاب (القراءات) وكتاب (العدد) وكتاب (اختلاف العدد)، وكتاب(مقطوع القرآن وموصوله)، وكتاب (النوادر الكبير) وكتاب (النوادر الصغير)، وكتاب (الهجاء)، وكتاب (المصادر)، إلى غير ذلك)[1].

المطلب الثالث

ثناء العلماء عليه

زخرت الكتب التي ترجمت للإمام الكسائي –رحمه الله– بشهادات العلماء في الثناء على أبي الحسن الكسائي –رحمه الله– ومن هذه الشهادات:

1- جاء في تاريخ الإسلام: "قال الشافعي[2]: من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي، وقال أبو بكر، ابن الأنباري[3]: اجتمع في الكسائي أمور: كان أعلم الناس بالنحو، وواحدهم في الغريب، وكان أوحد الناس في

(1) **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**[ص:61] لكمال الدين الأنباري ، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن ط. الثالثة،(1405 هـ - 1985 م)

(2) الشافعي: محمد بن أدريس، بن العباس بن عثمان بن شافع ، ابن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي: ولد سنة خمسين ومائة ومات في آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين وله أربع وخمسون سنة، **طبقات الفقهاء**[ص:71]

(3) ابن الأنباري: القاسم بن محمد بن بشار أبو محمد الأنباري النحوي، كان محدثا أخباريا، عارفا بالأدب والغريب، ثقة، صاحب عربية، توفي سنة (304هـ) **بغية الوعاة** [261/2]

القرآن، وكانوا يكثرون عليه حتى لا يضبط عليهم، فكان يجمعهم، ويجلس على كرسي، ويتلو القرآن من أوله إلى آخره، وهم يسمعون، ويضبطون عنه حتى المقاطع والمبادئ"(1) .

2- وجاء في غاية النهاية : "وقال الفضل بن شاذان(2) لما عرض الكسائي على حمزة خرج إلى البدو فشاهد العرب وأقام عندهم حتى صار كواحد منهم ثم دنا إلى الحضر وقد علم اللغة"(3).

وأكتفي بهذا القدر في ترجمة الإمام الكسائي وبيان منزلته العلمية خشية الخروج عن المقصود من البحث وهو عرض وتحليل لأقواله في تفسير المفردة القرآنية من خلال نماذج مختارة مجموعة من أمهات كتب التفسير التي حفظت لنا ما فقد من كتب الإمام الكسائي- رحمه الله-.

(1) **تاريخ الإسلام** [927/4]

(2) الفضل بن شاذان بن عيسى أبو العباس الرازي الإمام الكبير، ثقة عالم، توفي في حدود (290هـ). **غاية النهاية** [10/2]

(3) **غاية النهاية** [536/1]

المطلب الرابع

القيمة العلمية لأقوال الإمام الكسائي في التفسير ومنهجه العام في تفسيرها:

-القيمة العلمية لأقوال الإمام الكسائي في التفسير :

حظيت أقوال الإمام الكسائي في خدمة علم التفسير بمكانة عالية، وقيمة علمية مشهود لها من كبار العلماء، وظهرت معالم القيمة العلمية لجهود الإمام الكسائي وأقواله في التفسير في النقاط التالية:

أولا- اهتمامه بالتصنيف في تفسير القرآن الكريم منذ عهد التدوين المبكر من خلال مصنفه في (معاني القرآن).

ثانيا- قوة مصادر هذه الأقوال والتي نوعها الإمام الكسائي بين تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بما سمعه وجمعه وتلقنه من لغة العرب، ، فأجاد ذلك وأفاد، وسيعقد لذلك مبحث إن شاء الله في الفصل الثاني.

ثالثا- أن تفسيره (معاني القرآن) يعد من مصادر كتب التفسير من بعده ومن أشهر من سجل ذلك الإمام أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره (الكشف والبيان عن تفسير القرآن)، فنص على أن من مصادره (معاني القرآن) للإمام الكسائي، قائلا: (هذه أسماء الكتب التي عليها مباني كتابنا هذا) وذكر إسناده لمعاني الإمام الكسائي، فيعد تفسير الإمام الثعلبي من أهم الكتب في تكوين تصور كامل عن جهود الإمام الكسائي في التفسير لما سجله في تفسيره من أقوال الإمام الكسائي(1) .

(1) **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**[84/1] المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ)، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى 1422، هـ - 2002 م

رابعا- ومن أهم شواهد القيمة العلمية لأقوال الإمام الكسائي في التفسير عدم تتبعه للغريب والشاذ من لغة العرب، وندرة اعتماد الإسرائيليات والموضوعات في تفسيره، وهذا ينم عن شخصية علمية جادة في تحرير المراد من الآيات الكريمة.

خامسا- مما يشهد للقيمة العلمية لأقوال الإمام الكسائي في التفسير انتشار أقواله في بطون أمهات الكتب الكبرى في التفسير، فهو مصدر مهم استعان به الأئمة في فهم الآية والوصول إلى الصواب في تفسيرها، وسيظهر جزء من ذلك في صفحات هذا البحث إن شاء الله -تعالى-.

- معالم المنهج العام للإمام الكسائي في أقواله في التفسير:

تتضح معالم المنهج العام لأقوال الإمام الكسائي – رحمه الله- في التفسير في النقاط التالية:

أولا- اعتمد الإمام الكسائي في التفسير على التأصيل اللغوي والرجوع إلى عادات العرب في كلامها.

ثانيا- استشهاده –رحمه الله- في كثير من المواضع بالنظير القرآني وهذا يدل على قوة الأدلة التي يعتمد إليها فخير طرق التفسير تفسير القرآن بالقرآن.

ثالثا- اعتماده –رحمه الله- على ما ورد في الحديث الشريف عند الحاجة إلى ذلك.

رابعا- ندرة التفاسير الغريبة والمستندة إلى التفاسير الضعيفة ومرويات الإسرائيليات أو الشاذ من اللغة.

خامسا- عدم تعصبه –رحمه الله- لرأي بعينه ، بل يلحظ القارئ الموضوعية في النقاش وتأصيل المعنى مع عدم المبالغة في الرد على مخالفيه.

وسيظهر في النماذج التي سيتم مناقشتها في هذا البحث الشواهد على ذلك.

❁❁❁

الفصل الثاني

أقوال الإمام الكسائي في تفسير المفردة القرآنية –نماذج مختارة–

المبحث الأول: أقوال الإمام الكسائي في تفسير المفردة القرآنية

المبحث الثاني: أقوال الإمام الكسائي في إعراب المفردة القرآنية

المبحث الثالث: أقوال الإمام الكسائي في توجيه القراءات

المبحث الرابع: أقوال الإمام الكسائي في التفسير بالمأثور من حديث رسول الله –ρ–

المبحث الخامس: أقوال الإمام الكسائي في التفسير بما أثر من لغة العرب

المبحث السادس: أقوال الإمام الكسائي في تعليل الوقف والابتداء

المبحث الأول

أقوال الإمام في تفسير المفردة القرآنية

النموذج الأول:

قال الإمام الكسائي –رحمه الله–: في تفسير قوله –تعالى– ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٨) ﴾ [الأحقاف: 28]

" القربان: كلّ ما يتقرّب به إلى الله تعالى من طاعة، ونُسكة، والجمع قرابين، كالرهبان والرهابين".

التوثيق:

- ذكر هذا القول عن الإمام الكسائي– رحمه الله– كل من: الإمام الثعلبي في تفسيره[1] ، والإمام القرطبي[2] في تفسيره[3] .

عرض وتحليل:

تأتي الآية الكريمة في سياق حديث الحق –تبارك وتعالى– عن إهلاك أصحاب الأحقاف، وما حل بهم، فموقع الآية الكريمة موقع التذكير لأهل مكة من مثل عاقبتهم، فيقول Y ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ

---

(1) **الكشف والبيان** [19/9]

(2) القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي فرح الانصاري الخزرجي المالكي أبو عبد الله القرطبي، توفي سنة (671هـ)**طبقات المفسرين** للسيوطي [92/1]

(3) **الجامع لأحكام القرآن** [209/16] تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط. دار الكتب المصرية – القاهرة

يَرْجِعُونَ (27) فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (28) ﴾

والمعنى: "فهلا نصرهم وخلصهم من العذاب الذين اتخذوهم آلهة حال كونها متقربا بها إلى الله تعالى حيث كانوا يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى هؤلاء، شفعاؤنا عند الله وفيه تهكم بهم" (1)

وقد ذكر الإمام الكسائي –رحمه الله– في تفسير هذه الآية الكريمة معنى القربان بأنه كل ما يتقرب به إلى الله –تعالى– وهذ ا تفسير صحيح وصيغة عامة تعم كل ما يؤديه العبد تقربا إلى الله – تعالى–، قال علماء اللغة، وأهل التفسير: "القربان ما قربت إلى الله، تبتغي بذلك قربة ووسيلة"(2) .أ.هـ وقال صاحب القاموس المحيط: "والقربان، بالضم: ما يتقرب به إلى الله تعالى" (3)أ.هـ ولم أقف على من فسرها بغير هذا القول.

تعقيب:

بعد عرض أقوال العلماء من أهل اللغة وأئمة التفسير يظهر صحة قول الإمام الكسائي –رحمه الله– فيما ذهب إليه من تفسير معنى القربان المناسب لسياق الآية الكريمة، وأقوال المفسرين جميعها متقاربة في بيان المعنى.

---

(1) **إرشاد العقل السليم** [78/8]

(2) **لسان العرب** [665/1] مادة (قرب) تأليف: جمال الدين ، ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي ، ط. دار صادر – بيروت، الطبعة:(الثالثة – 1414 هـ)

(3) **القاموس المحيط** [123/1] فصل (القاف) تأليف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة،(1426 هـ – 2005 م)

النموذج الثاني:

قال الإمام الكسائي –رحمه الله– في تفسير قوله –تعالى– ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾ [يوسف: 85] " الحرض: الفاسد الذي لا خير فيه".

التوثيق:

ذكر هذا القول عن الإمام الكسائي الإمام الثعلبي في تفسيره[1].

عرض وتحليل:

تمثل الآية الكريمة أحد مواقف أبناء يعقوب عليه السلام من تأسيه وحزنه على يوسف عليه السلام، فحين قال ما ذكره الحق تبارك وتعالى ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (84) ﴾ ردوا عليه بقولهم ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (85)﴾ [يوسف: 84-85] ، والغرض من الرد عليه بأسلوب اليمين " لأن المقصود من هذا اليمين الإشفاق عليه بأنه صائر إلى الهلاك بسبب عدم تناسيه مصيبة يوسف– عليه السلام– وليس المقصود تحقيق أنه لا ينقطع عن تذكر يوسف"[2] ، والحكمة من التعبير بالمصدر في قوله (حرضا) "وحرضا مصدر هو شدة المرض المشفي على الهلاك، وهو وصف بالمصدر، أي حتى تكون حرضا، أي باليا لا شعور لك. ومقصودهم الإنكار عليه صدا له عن مداومة

(1) **الكشف والبيان**[248/5]

(2) **التحرير والتنوير** [44/13]

ذكر يوسف- عليه السلام- على لسانه لأن ذكره باللسان يفضي إلى دوام حضوره في ذهنه"[1].

ولعلماء التفسير في أصل مفردة (حرضا) أقوال متعددة، جمعها الإمام ابن الجوزي[2] – رحمه الله- في تفسيره قائلا:

"قوله تعالى: حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا. فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الدَّنِف[3]، قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال ابن قتيبة[4]: يقال: أحرضه الحزن، أي: أدنفه. قال أبو عبيدة[5]: الحرض: الذي قد أذابه الحزن أو الحُب، وهي في موضع مُحْرَض. وأنشد:

إِني امرؤٌ لجَّ بي حُبٌّ فَأَحْرَضَنِي ... حَتى بَلِيتُ وحَتَى شفَّني السَّقَم[6]

(1) **التحرير والتنوير** [44/13]

(2) ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ). **سير أعلام النبلاء** [465/15]

(3) الدنف: المرض اللازم المخامر، وقيل: هو المرض ما كان. **لسان العرب** [107/9]

(4) ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوريّ النحويّ اللغويّ، توفي سنة (267هـ). **طبقات المفسرين** للداودي [252/1]

(5) معمر بن المثنى اللغوي البصري أبو عبيدة، مولى بني تيم؛ تيم قريش؛ رهط أبي بكر الصديق. أخذ عن يونس وأبي عمرو. وهو أول من صنف غريب الحديث، توفي سنة (209هـ) . بغية الوعاة [294/2]

(6) البيت من قصيدة مطلعها

حُورٌ بَعَثنَ رَسُولًا في مُلاطَفَةٍ ثَقفًا إذا أَسقَطَ النَسَّاءَةُ الوَهِمُ

للشاعر الأموي عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي القرشي، العرجي . **ديوان العرجي**، قافية الميم [ص:313] جمع وتحقيق الدكتور/ سجيع الجبيلي ، ط. دار صادر بيروت

أي: أذابني. وقال الزجاج[1]: الحرض: الفاسد في جسمه، والمعنى: حتى تكون مدنفا مريضًا.

والثاني: أنه الذاهب العقل، قاله الضحاك عن ابن عباس. وقال ابن إسحاق: الفاسد العقل. قال الزجاج وقد يكون الحرض: الفاسد في أخلاقه. والثالث: أنه الفاسد في جسمه وعقله، يقال: رجل حارض وحرض، فحارض يثنَّى ويُجمع ويُؤنث، وحرض لا يُجمع ولا يثنَّى، لأنه مصدر، قاله الفراء.والرابع: أنه الهرم، قاله الحسن[2]، وقتادة ، وابن زيد[3]"[4].أ.هـ

وبالتأمل في أقوال أهل التفسير واللغة يظهر أن مادة (حرض) تدور حول معنى الفساد سواء كان هذا الفساد في العقل أو البدن أو الأخلاق، وما قصده أبناء يعقوب –عليه السلام–هنا هو الفساد في العقل – وحاشاه– عليه السلام أن يكون بهذا الوصف فالأنبياء أكمل الناس عقلا ودينا .

ويعتبر قول الإمام الكسائي وتفسيره هنا تفسيرا لغويا؛ لأنه ذكر المعنى الذي تدور عليه المادة فقال: "الحرض: الفاسد الذي لا خير فيه"، فهذا تعريف عام لما تدل عليه الكلمة، قال الطبري:

---

(1) الزجاج: إبراهيم بن السّريّ بن سهل أبو إسحاق الزّجاج، توفي سنة (311هـ). **طبقات المفسرين** للداودي [12/1]

(2) الحسن: الحسن بن أبي الحسن، واسم أبي الحسن يسار، الحسن البصري، توفي سنة (110هـ). **الطبقات الكبرى** [114/7]

(3) ابن زيد: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدويّ، مولاهم المدنيّ، توفي سنة (182هـ). **طبقات المفسرين** للداودي [271/1]

(4) **زاد المسير** [464/2]

"وأصل الحرض: الفساد في الجسم والعقل من الحزن أو العشق"[1] أ.هـ

وإن كان مقصد أبناء يعقوب- عليه السلام- معنى آخر وهو الفساد في العقل بمعنى أنه وصف بالخرف وحاشاه عليه السلام.

تعقيب:

بعد عرض أقوال أهل اللغة والتفسير يتبين أن الإمام الكسائي –رحمه الله – اعتني في هذا الموضع ببيان المعنى القرآني (حرض) وهو قول مأخوذ به عند علماء اللغة والتفسير ولا يختلف اختلافا جوهريا عما قاله أهل العلم.

(1) **تفسير الطبري** [221/16]

المبحث الثاني

أقوال الإمام الكسائي في إعراب المفردة القرآنية

للإمام الكسائي –رحمه الله– جهد لا ينكر في خدمة المفردة القرآنية من الناحية الإعرابية، ولم لا؟ وهو إمام أهل الكوفة ورئيس مدرستها النحوية، وسميّ[1] سيبويه[2]، وشيخ الأعلام من علماء النحو بمدارسه المختلفة، ومن نماذج أقواله رحمه الله– في هذا المجال:

النموذج الأول:

قال الإمام الكسائي –رحمه الله– في إعراب قوله –تعالى–: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (156)﴾ [الأنعام: 156-157]

"أَنْزَلْنَاهُ لِئَلَّا تَقُولُوا ثُمَّ حَذَفَ الْجَارَّ وَحَرْفَ النَّفْيِ كَقَوْلِهِ:(يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا) [النِّسَاءِ: 176] وَقَوْلِهِ:(رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ) [النَّحْلِ: 15] أَيْ لِئَلَّا".

التوثيق:

ذكر هذا القول عن الإمام الكسائي الإمام الفخر الرازي في تفسيره[3] .

---

(1) أي يسامية ويفاخره

(2) سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر يكنى أبا بشر، مولى لبني الحارث، توفي سنة (180هـ) .**تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم**.[ص:90] لأبي المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري (المتوفى: 442هـ) الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة ط. الثانية (1412هـ - 1992م)، وكان الكسائي يسامية ويناظره.

(3) **مفاتيح الغيب** [187/4] تأليف : أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت– ط. الثالثة – 1420هـ

عرض وتحليل:

تتعلق الآية الكريمة بما قبلها من قول الله Y ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (155) ﴾ [الأنعام: 155] والمراد من الآية الكريمة كما يقول النسفي: "المراد إثبات الحجة عليهم بإنزال القرآن على محمد ρ كي لا يقولوا يوم القيامة إن التوراة والإنجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا وكنا غافلين عما فيهما"(1)

وقد رأى الإمام الكسائي في هذا الموضع أن معنى ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ (لئلا) تقولوا، فحذف حرف الجر (اللام) وحرف النفي لا، ومعنى كلامه –رحمه الله– أن حرف النصب (أن) حذف من قبله حرف جر ومن بعده حرف نفي، وهذا القول أحد قولين في بيان إعراب هذه الجملة والقول الآخر هو أن التقدير (كراهية أن تقولوا)(2)، وكلا الوجهين جائز لهذا ذكره كثير من المفسرين دون ترجيح بينهما، قال الإمام النسفي(3) في تفسيره: "{أَن تَقُولُواْ} كراهة أن تقولوا أو لئلا تقولوا"(4).أ.هـ

(1) تفسير النسفي [550/1]

(2) وإليه ذهب الزمخشري في **الكشاف** [81/2] ط. دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة (1407هـ)

(3) النسفي: عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن لقمان النسفي ثم السمرقندي، توفي سنة (537هـ) **طبقات المفسرين** للسيوطي[88/1]

(4) **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** [1/ 550] ط. د ار الكلم الطيب، بيروت–الطبعة: الأولى، (1419هـ . – 1998 م)

ولكن نقطة الخلاف هي أن الكوفيين يجيزون أن يكون المحذوف حرف النفي، في حين أن البصريين لا يجيزون ذلك، قال الإمام الرازي –رحمه الله– في تحرير هذا الخلاف في خاتمة تفسيره لسورة النساء:

"ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وفيه وجوه: الأول: قال البصريون: المضاف ها هنا مَحْذُوفٌ وَتَقْدِيرُهُ: يُبَيِّنُ اللَّه لَكُمْ كَرَاهَةَ أَنْ تضلوا، إلا أنه حذف المضاف كقوله (وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ) [يُوسُفَ: 82] الثَّانِي:قَالَ الْكُوفِيُّونَ: حَرْفُ النَّفْيِ مَحْذُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ: يُبَيِّنُ اللَّه لَكُمْ لِئَلَّا تَضِلُّوا، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ (إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولا) [فَاطِرٍ: 41] أَيْ لِئَلَّا تَزُولَا. الثَّالِثُ: قَالَ الْجُرْجَانِيُّ صَاحِبُ «النَّظْمِ» : يُبَيِّنُ اللَّه لَكُمُ الضَّلَالَةَ لِتَعْلَمُوا أَنَّهَا ضَلَالَةٌ فَتَجَنَّبُوهَا"[1] أ.هـ

تعقيب:

يلاحظ في هذا الموضع النظرة التحليلية العميقة للإمام الكسائي في تقدير المحذوف، ويظهر أن قول الكسائي أقرب من ناحية المعنى، خاصة وأن قوله –تعالى– (أن تقولوا) أول الآية، فالأوفق تقدير (لئلا).

(1) **تفسير الرازي** [11/ 275]

النموذج الثاني:

قال الإمام الكسائي في إعراب (ثمانية) من قوله –تعالى– ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ [الأنعام: 143] أنها منصوبة بـ "أنشأ) مضمرة".

التوثيق:

ذكر هذا القول عن الإمام الكسائي الإمام أبو حيان(1) في البحر المحيط(2)

عرض وتحليل:

من القضايا التي عنيت بها سورة الأنعام قضية ما يحل ويحرم من الأطعمة، وبيان ما اعتقدته الجاهلية من افتراءات في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل سبحانه، وجاءت الآية الكريمة في سياق تفصيل ما أحله الله تعالى، ويتعلق قول الإمام الكسائي هنا ببيان إعراب قوله Y (ثمانية أزواج) والعلماء لهم في بيان إعرابها أكثر من قول أشار إليها الإمام أبو حيان –رحمه الله–

"وَأَجَازُوا نَصْبَهُ بِـ ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأنعام: 142] وَهُوَ قول علي بن سليمان وَقَدَّرَهُ (كلوا لحم ثمانية) وبـ (أنشأ) مضمرة قاله الْكِسَائِي، وَعَلَى الْبَدَلِ مِنْ مَوْضِعِ مَا مِنْ قَوْلِهِ ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ [الأنعام: 142] وبـ (كُلُوا) مُضْمَرَةً، وَعَلَى أَنَّهَا حَالٌ أَيْ مُخْتَلِفَةً مُتَعَدِّدَةً" أ.هـ

(1) أبو حيان: حمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان الإمام أثير الدين أبو حيان الأندلسي الغرناطي، توفي سنة (745هـ). **طبقات المفسرين** للداودي [278/2]

(2) **البحر المحيط** [671/4] تأليف: أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، ط. (1420 هـ)

ومفاد ما ذكره –رحمه الله– أن أوجه الإعراب متعددة في بيان وجه النصب، فمنهم من جعلها منصوبة بفعل مقدر والتقدير: (أنشأ) أو (كلوا) ، ومنهم من جعل سبب النصب أنها بدل من (ما) ، ومنهم من جعلها حالا.

وقول الإمام الكسائي –رحمه الله–ذكره الأخفش في معاني القرآن في مقدمة ما قيل في نصب (ثمانية) ، فقال –رحمه الله–:

"{وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا} أَي: وأَنْشَأَ من الأَنعامِ حَمُولَةً وَفَرْشا(.ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) ثم قال {ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ}أي: أَنْشَأَ حَمُولَةً وَفَرَشًا ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ. أي: أَنْشَأَ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ، على البدل أو التبيان أو على الحال"[1].

تعقيب:

يعتبر قول الإمام الكسائي في بيان وجه النصب هنا قولا صحيحا أخذ به العلماء ولم أقف على من رده أو ضعفه.

(1) **معاني القرآن** [315/1]لأبي الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: 215هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة. ط. مكتبة الخانجي، القاهرة

المبحث الثالث

نماذج من أقوال الإمام الكسائي في توجيه القراءات

لم تقف همة الإمام أبي الحسن الكسائي عند تحصيل علم القراءات رواية بل إنه كان له إسهام واضح في الدراية بها وتوجيهها التوجيه المنضبط مع أصول اللغة وقواعد النحو، يظهر ذلك باستقراء الأقوال التي اهتم فيها بتوجيه القراءات ، ومن النماذج على ذلك :

النموذج الأول:

قوله –رحمه الله– في توجيه القراءات الواردة في قوله تعالى– ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ (62) ﴾ [النحل: 62-63]قال في توجيه قراءة فتح الراء في (مفرطون) : "يُقَالُ مَا أَفْرَطْتُ مِنَ الْقَوْمِ أَحَدًا، أَيْ مَا تَرَكْتُ".

التوثيق:

ذكر هذا القول عن الإمام الكسائي الإمام الفخر الرازي –رحمه الله–في تفسيره[1]

عرض وتحليل:

تناولت سورة النحل عددا من افتراءات المشركين في حق الذات الإلهية تلويحا وتصريحا، وتأتي هذه الآية الكريمة في سياق ذكر إحدى هذه الافتراءات بالتصريح بعقيدة نسبة البنات لله Y جاء في نظم الدرر :

"ولما كان ما تقدم أمارة على كراهتهم لما نسبوه إلى الله تعالى، أتبعه التصريح بعد التلويح بقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ﴾ أي وهو الملك الأعظم ﴿مَا يَكْرَهُونَ ﴾ أي لأنفسهم، من البنات والأموال والشركاء في الرئاسة، ومن الاستخفاف برسلهم وجنودهم

(1) **التفسير الكبير** [20/ 230]

والتهاون برسالاتهم، ثم وصف جراءتهم مع ذلك، الكائنة في محل الخوف، المقتضية لعدم التأمل اللازم لعدم العقل فقال: ﴿وَتَصِفُ﴾ أي تقول معتقدة مع القول الصفاء، ولما كان قولًا لا حقيقة له بوجه، أسنده إلى اللسان فقال: ﴿أَلْسِنَتُهُمُ﴾ أي مع ذلك مع أنه قول لا ينبغي أن يتخيله عاقل ﴿الْكَذِبَ﴾ ثم بينه بقوله: ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى ﴾ أي عنده، ولا جهل أعظم ولا حكم أسوأ من أن تقطع بأن من تجعل له ما تكره يجعل لك ما تحب، فكأنه قيل: فما لهم عنده؟ فقيل: ﴿لَا جَرَمَ ﴾ أي لا ظن ولا تردد في ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ ﴾ التي هي جزاء الظالمين ﴿وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ (62) ﴾ أي مقدمون معجلون إليها بتقديم من يسوقهم وإعجاله لهم"(1) .

وقد تواتر في قوله –تعالى– في سورة النحل: ﴿... وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ (62) ﴾ [النحل: 62] ثلاث قراءات:

القراءة الأولى: فتح الراء مخففة في (مفرطون) وهي قراءة لجميع القراء إلا نافعا وأبا جعفر.

القراءة الثانية: كسر الراء مخففة وهي قراءة نافع المدني(2).

القراءة الثالثة: كسر الراء مشددة وهي قراءة أبي جعفر المدني(3)(4)

---

(1) **نظم الدرر** [189/11]

(2) نافع: نافع بن عبد الرحمن ، ابن أبي نعيم الليثي، مولاهم أبو رويم المقرئ المدني، توفي سنة (169هـ).**معرفة القراء الكبار** [ص:43]

(3) أبو جعفر: يزيد بن القعقاع أبو جعفر القارئ أحد العشرة مدني مشهور رفيع الذكر توفي سنة (127هـ) وقيل غير ذلك. **معرفة القراء الكبار** [ص:43]

(4) **إتحاف فضلاء البشر إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر** [ص:352] المؤلف: أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء (ت ١١١٧هـ)

وتناول الإمام الكسائي في توجيه بيان معنى قراءة الفتح ، فقراءة الكسر معناها معروف مشهور، وذكر أن القراءة على الفتح معناها (متروكون) وهو تفسير صحيح استدل له بقول العرب (ما أفرطت من القوم أحدا أي ما تركت) وله مستند من قول السلف، قال مجاهد[1] –رحمه الله– (مفرطون أي منسيون)[2] ، وقال أبو علي الفارسي[3] في الحجة:

" قرأ نافع وحده: (وأنهم مفرِطون) بكسر الراء خفيفة من أفرطت ، وقرأ الباقون: مفرطون بفتح الراء، من أفرطوا فهم مفرطون ، أبو عبيدة: مفرطون: معجلون، قال: وقالوا: متروكون منسيّون ، وقال أبو زيد: فرط الرجل أصحابه، يفرطهم أحسن الفراطة، وهو رجل فارط. قال: والفارط: الذي يتقدم الواردة، فيصلح الدّلاء والأرسان، وقوله: مفرطون، يمكن أن يكون من هذا كأنه فرط هو، وأفرطه القوم، فكذلك:(مفرطون)، كأنهم أعجلوا إلى النار فهم فيها فرط للذي يدخلون بعدهم، ومن هذا قولهم في الدعاء للطفل، ومن جرى مجراه:«اجعله لنا فرطا"[4]. أ.هـ

---

(1) مجاهد: مجاهد بن جبر، ويكنى أبا الحجاج مولى قيس بن السائب المخزومي. توفي سنة (102هـ). **الطبقات الكبرى** [20/6]

(2) **جامع البيان في تأويل القرآن** [14/ 264] ، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى(1420 هـ - 2000 م)

(3) أبو علي الفارسي: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (المتوفى: 377هـ). **تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم**[ص:27]لأبي المحاسن التنوخي المعري، ط. هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، الطبعة: الثانية [1412هـ - 1992م]

(4) **الحجة** لأبي علي الفارسي [73/5] الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (المتوفى: 377هـ)

=

تعقيب:

من خلال دراسة هذا القول وعرضه على أقوال العلماء يتبين صحة ما قاله الكسائي –رحمه الله– في توجيه قراءة الفتح، وأنه مأخوذ به عند علماء التفسير قال النسفي –رحمه الله–:

"نافع مفرِّطون أبو جعفر فالمفتوح بمعنى مقدمون إلى النار معجلون إليها من أفرطت فلانًا فرطته في طلب الماء إذا قدمته أو منسيون متروكون من أفرطت فلانًا خلفي إذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الإفراط في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات أي التقصير فيها"[1]. أ.هـ

=

المحقق: بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح – أحمد يوسف الدقاق، ط. دار المأمون للتراث – دمشق / بيروت، الطبعة: الثانية،(1413 هـ – 1993م)

(1) **تفسير النسفي** [219/2]

النموذج الثاني:

قال الإمام الكسائي –رحمه الله– في توجيه قراءتي (سَدّا –سُدّا) في قوله –تعالى– ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (93)﴾ [الكهف: 93]:

(هما لغتان بمعنى واحد)

التوثيق:

ذكر هذا القول عن الإمام الكسائي عدد من المفسرين منهم: الإمام الطبري في تفسيره(1)، و الإمام أبو جعفر النحاس في (إعراب القرآن)(2)، و الإمام ابن عطية في تفسيره(3).

عرض وتحليل:

تطرقت سورة الكهف لذكر قصة ذي القرنين تلك القصة التي لم تأت في القرآن إلا مرة واحدة في سورة الكهف، فذكرت خبر هذا الرجل الذي بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وملأها عدلا وفضلا، حتى وصل إلى قوم من أهل الأرض اختلف أهل التفسير في تحديد من هم؟ قال ابن عطية: "واختلف في القوم، فقيل: هم بشر، وقيل جن،

(1) **تفسير الطبري**[102/18]

(2) **إعراب القرآن** [306/2] ، المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: 338هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط. منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى(1421 هـ)

(3) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**[541/3] أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط. دار الكتب العلمية – بيروت–ط. الأولى (1422 هـ)

والأول أصح من وجوه"[1] والمراد بقوله بين السدين " بين الجبلين الذين سد ما بينهما وهو منقطع أرض الترك مما يلي المشرق"[2].

وقد وردت مادة(سدا) في القرآن الكريم في سورة الكهف في موضعين في قوله – تعالى- ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (93)﴾، وقوله ﴿ عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (94) ﴾ [الكهف: 94] وفي سورة يس في موضعين في قوله –تعالى-﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (9)﴾ [يس: 9-10] وقد تواتر قراءتان في هذا اللفظ قراءة بضم السين، والأخرى بفتحها، وتفصيل أوجه القراءات في موضعي الكهف ويس كالتالي:

أولا- موضع سورة الكهف، فيه ثلاثة أوجه:

الأول: فتح السين في قوله ﴿ السَّدَّيْنِ ﴾ [الكهف: 93]،و﴿سَدًّا ﴾ وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحفص.

الثاني: قرأ حمزة والكسائي بالضم في ﴿ السُّدَّيْنِ ﴾ والفتح في ﴿سَدًّا ﴾.

الثالث: ضم السين في الموضعين، وهي قراءة باقي العشرة[3] .

ثانيا- موضع سورة يس:

وفيه قراءتان:

---

(1) **المحرر الوجيز** [541/3]

(2) **إرشاد العقل السليم** [244/5]

(3) **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة** [ص:196] للشيخ/ عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: 1403هـ) ط. دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان

الأولى: بفتح السين لابن كثير وأبي عمرو وحفص في الموضعين.

الثانية: ضم السين فيهما لباقي العشرة.

قال ابن الجزري: "وفتح السين من سدا كذلك أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف وحفص وابن كثير، وكذلك قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ﴾ في يس، والباقون بالضم؛ فالمدنيان وابن عامر وأبو بكر ويعقوب ضموا الأربعة، وابن كثير وأبو عمرو فتحا لفظي الكهف وضما لفظي، يس وحفص بفتح الأربعة، وحمزة والكسائي وخلف فتحوا موضعي يس وسدا في الكهف"(1). أ.هـ

وقد اختلف العلماء في توجيه القراءتين على قولين:

القول الأول: وهو وجود فرق لغوي بين القراءتين، ولهم في بيان هذا الفرق أقوال:

1- أن الضم هو الاسم والفتح هو المصدر، وهذا القول منسوب للخليل وسيبويه.

2- ما كان من خلقة الله لم يشارك فيه أحد بعمل فهو بالضم، وما كان من صنع البشر فهو بالفتح، وهو قول منسوب لأبي عمرو بن العلاء البصري(2).

القول الثاني: أن القراءتين لغتان بمعنى واحد، وهو ما ذهب إليه الكسائي وجماعة من العلماء.

وهو قول أيده الطبري في تفسيره، قائلا:

---

(1) **شرح طيبة النشر** [ص:270] المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، (1420 هـ - 2000م)

(2) **المحرر الوجيز** [541/3] لابن عطية الأندلسي (المتوفى: 542هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: (1422 هـ)

"والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار، ولغتان متفقتا المعنى غير مختلفة، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، ولا معنى للفرق الذي ذكر عن أبي عمرو بن العلاء، وعكرمة بين السُّد والسَّد، لأنا لم نجد لذلك شاهدا يبين عن فرق ما بين ذلك على ما حكي عنهما" (1)أ.هـ

تعقيب:

من خلال استقراء أقوال العلماء في توجيه قراءتي الضم والفتح في مفردة (سدا) نرى أن مادة (سد) وردت في سورة الكهف ويس ، وهناك فرق في المعنى فالسد في سورة يس مقصود به الغفلة عن خروج الرسول ρ وفي سورة الكهف السد مقصود به الحاجز والمانع الحسي، وما قاله الإمام الكسائي قول صحيح، وأقرب للقبول؛ لأن القول الآخر كما يظهر من كلام الطبري –رحمه الله– لا دليل عليه يُلتمس من وراءه فرق قوي بين اللغتين.

(1) **تفسير الطبري** [102/18]

المبحث الرابع

أقوال الإمام الكسائي في التفسير بالمأثور من حديث رسول الله–ρ–

استقى الإمام الكسائي مادته اللغوية في تفسير المفردة القرآنية من عدة مصادر كان من أهمها الاستناد إلى ما أثر عن رسول الله– ρ– وبتتبع أقوال الإمام الكسائي –رحمه الله– التي استند فيها إلى أقوال الرسول –ρ– تبين ما يلي:

أولا– أن نسبة هذه الأقوال التي استند فيها إلى المأثور من السنة النبوية قليلة إذا ما قورنت بالأقوال التي استند فيها إلى لغة العرب، ولعل السر في ذلك هو غلبة الصنعة اللغوية عنده على الصنعة الحديثية، فهو معدود من أئمة اللغة، وليس من المشهورين في علم الرواية وتحرير السنن.

ثانيا– تبين أيضا من خلال تتبع المواضع القليلة في هذا الباب أن استناد الإمام الكسائي –رحمه الله– للحديث الشريف يكون غالبا لسبب من اثنين وهما، أولا– بيان أن المفردة القرآنية التي تعددت فيها اللغات لها أصل عن رسول الله –ρ– ثانيا– بيان أن ما ذهب إليه في تحديد المعنى المراد له شاهد من السنة النبوية.

وهذا نموذج من أقواله على كل غرض من الغرضين السابقين:

النموذج الأول:

قال الإمام الكسائي في قوله –تعالى– ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (55) ﴾ [الواقعة: 55–56] :

" يُقالُ شرِبْتُ شُربًا وشَرْبًا. ويروى قولُ جعفر[1]: «أيامُ مِنى أيامُ أكلٍ وشُرْبٍ وبِعال[2]» بفتح الشين".

التوثيق:

ذكر هذا القول عن الإمام الكسائي ، السمين الحلبي في الدر المصون [3]

عرض وتحليل:

يصف الحق تبارك وتعالى ما يلحق بأهل الكفر يوم القيامة من أصناف العذاب وألوانه فيقول سبحانه ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (51) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (52) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (53) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (54) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (55) هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (56) ﴾ [الواقعة: 51-56]، ووصف سبحانه مشرب أهل الكفر يوم القيامة بأنهم يشربون شربا يشبه شرب الهيم "وفي هذا التشبيه فائدتان: إحداهما التنبيه على شربهم منه ، والثانية عدم جدوى الشرب وأن المشروب لا ينجع فيه كما ينجع في الهيم"[4] في قوله -تعالى- (شُرْبَ الْهِيمِ) قراءتان، الأولى: قراءة الضم ،

(1) هو جعفر الصادق –رحمه الله- سبقت ترجمته.

(2) البعال: النكاح . **غريب الحديث** لابن الجوزي [79/1] ، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت ، وقول جعفر أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم (11587) [232/11]، لأبي القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، والحديث (إسناده حسن) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد الحديث رقم (5240) [203/3]

(3) **الدر المصون : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**[211/10]، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي ، ط. دار القلم، دمشق

(4) **إعراب القرآن وبيانه** [436/9]

والثانية: قراءة الفتح وهي القراءة التي قرأ بها الإمام الكسائي[1] ، وقد دلل الإمام الكسائي على اختياره هذا بحديث لرسول الله –ρ– قال فيه (أيامُ مِنى أيامُ أكلٍ وشَرْبٍ وبِعال)[2] (شرب) بفتح الشين.

والقراءتان متقاربتان المعنى، قال الإمام الطبري –رحمه الله–:

"وقوله: ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (55) ﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة[3] والكوفة[4] (شرب الهيم) بضم الشين، وقرأ ذلك بعض قراء مكة والبصرة والشأم (شَرب الهيم) اعتلالا بأن النبي –ρ– قال لأيام مني: (وإنها أيام أكل وشَرب)، والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء مع تقارب معنييهما، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب في قراءته؛ لأن ذلك في فتحه وضمه نظير فتح قولهم: الضعف والضعف بضمه[5]"[1].أ.هـ

---

(1) قال صاحب غيث النفع: (قرأ نافع وعاصم وحمزة بضم الشين والباقون بالفتح لغتان في مصدر شرب والكثير الفتح كالفهم واللثم ولذا قيل المصدر هو المفتوح والمضموم اسم لما يشرب ولا خلاف بين القراء الأربعة عشر الذين وصلت قراءتهم إلينا أن شربا من قوله تعالى: " لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ" بالشعراء "وَكُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ" بالقمر بكسر الشين لأن المراد به النصيب من الماء) . **غيث النفع في القراءات السبع** [ص:573]لعلي بن محمد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي المقرئ المالكي ط .دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى، 1425 هـ - 2004 م

(2) حديث إسناده حسن **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد الحديث** رقم (5240) [203/3]

(3) قراء المدينة نافع وأبو جعفر والرواة عنهما

(4) هم حمزة والكسائي وعاصم ويعقوب والرواة عنهم

(5) المراد بقوله " الضعف والضعف بضمه" القراءتان الواردتان في قوله تعالى ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال: 66] وقوله تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (54)﴾ [الروم: 54]. (قرأ حمزة وعاصم: "وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا" بفتح ضم =

تعقيب:

دل هذا النموذج على أن الإمام الكسائي –رحمه الله– يستشهد أحيانا بالحديث النبوي لتأكيد صحة اختياره في القراءة، وهذا الاستشهاد يبين عدم اكتفاء الإمام الكسائي باللغة وحدها بل إنه يستند للمأثور من كلام رسول الله–ρ– ما وجد إلى ذلك سبيلا.

=

الضاد، وقرأ غيرهما بضمها. وقرأ شعبة وحمزة وحفص بخلف عنه: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً " ، بفتح الضاد في الألفاظ الثلاثة، وقرأ الباقون، بضمها فيها وهو الوجه الثاني لحفص). **الوافي في شرح الشاطبية** [ص:281]

(1) **تفسير الطبري** [134/23]

النموذج الثاني:

قال –تعالى– ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا (12) ﴾ [الفتح: 12]

قال الإمام الكسائي: "ومنه الحديث: (أنه كان يتعوذ من بوار الأيم) (1) ، وذلك أن تكسد فلا تجد زوجا ".

التوثيق:

ذكر هذا القول عن الإمام الكسائي ، ابن فارس(2) في معجم مقاييس اللغة(3).

عرض وتحليل:

قال أهل التفسير عن موقع قوله Y﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا (12) ﴾ [الفتح: 12] "هذه الجملة بدل اشتمال من جملة ﴿بل كان الله بما تعملون خبيرا﴾ [الفتح: 11] ، أي خبيرا بما علمتم، ومنه ظنكم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون. وأعيد حرف الإبطال زيادة لتحقيق معنى البدلية كما يكرر العامل في المبدل منه والانقلاب: الرجوع إلى المأوى. وأن مخففة من (أن) المشددة واسمها ضمير الشأن وسد المصدر مسد مفعولي ظننتم، وجيء بحرف (لن) المفيد استمرار النفي. وأكد بقوله: (أبدا) لأن ظنهم كان قويا.

---

(1) أخرجه الطبراني في (الدعاء) حديث رقم (1354) [ص:403]، (**الدعاء**) لأبي القاسم الطبراني، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى (1413) قال الهيثمي في مجمع الزوائد " رواه الطبراني في الصغير والأوسط والكبير، وفيه عباد بن زكريا الصريمي ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح. " **مجمع الزوائد** [143/10]

(2) ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي، توفي سنة (390هـ). وفيات الأعيان [118/1]

(3) معجم مقاييس اللغة [316/1] لأبي الحسين أحمد بن فارس، الناشر: دار الفكر- (1399هـ - 1979م)

والتزيين: التحسين، وهو كناية عن قبول ذلك وإنما جعل ذلك الظن مزينا في اعتقادهم لأنهم لم يفرضوا غيره من الاحتمال، وهو أن يرجع الرسول صلى الله عليه وسلم سالما. وهكذا شأن العقول الواهية والنفوس الهاوية أن لا تأخذ من الصور التي تتصور بها الحوادث إلا الصورة التي تلوح لها في بادئ الرأي. وإنما تلوح لها أول شيء لأنها الصورة المحبوبة ثم يعتريها التزيين في العقل فتلهو عن فرض غيرها فلا تستعد لحدثانه، ولذلك قيل: حبك الشيء يعمي ويصم"(1).

هذا عن المعنى الإجمالي للآية الكريمة وموقعها من السياق، وكما بينت – سابقا– أن الإمام الكسائي قد يستشهد بالحديث الشريف لترجيح اختياره في القراءة أو اللغة، وكذلك قد يستشهد به لبيان معنى المفردة القرآنية كما في هذا النموذج حيث فسر البوار بمعنى الكساد، واستشهد بقول الرسول –ρ– "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الْعَدُوِّ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ بوارِ الْأَيِّمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ"(2)وهو معنى محتمل من معاني البوار، جاء في لسان العرب: (والبوار: الكساد. وبارت السوق وبارت البياعات إذا كسدت تبور؛ ومن هذا قيل: نعوذ بالله من بوار الأيم أي كسادها، وهو أن تبقى المرأة في بيتها لا يخطبها خاطب"(3) أ.هـ

(1) **التحرير والتنوير** [164/26]

(2) أخرجه الطبراني في (الدعاء) حديث رقم (1354) [ص:403]، (الدعاء) لأبي القاسم الطبراني، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى(1413) قال الهيثمي في مجمع الزوائد " رواه الطبراني في الصغير والأوسط والكبير، وفيه عباد بن زكريا الصريمي ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح. " **مجمع الزوائد** [143/10]

(3) **لسان العرب** [86/4] مادة (بور)، لجمال الدين ، ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي ، ط. دار صادر – بيروت، الطبعة:(الثالثة – 1414 هـ)

وقيل في معنى البوار أيضا إنه : الهلاك ، قال ابن عطية: " و: (بُورًا) معناه: فاسدين هلكى بسبب فسادهم. والبوار: الهلاك. وبارت السلعة، مأخوذ من هذا. وبور: يوصف به الجمع والإفراد"(1).

تعقيب:

استشهد الإمام الكسائي –رحمه الله – بالحديث الشريف في هذا النموذج لاستخراج إحدى مدلولات المفردة القرآنية، وهو استشهاد صحيح، أخذ به علماء اللغة، ووافقوا الإمام الكسائي فيما ذهب إليه، فالعلاقة بين البوار والكساد ظاهرة، وفيه دلالة على مخاطر الظن السيء وآفاته حيث إنه يفسد على المرء علاقته بربه سبحانه، ويجعله في عداد المنافقين.

(1) المحرر الوجيز [130/5]

المبحث الخامس

أقوال الإمام الكسائي في تفسير القرآن بما أثر من لغة العرب

سبق في ترجمة الإمام الكسائي أنه –رحمه الله– بعدما عرض القرآن الكريم على الإمام حمزة بن حبيب الزيات– رحمه الله–، توجه إلى البدو يأخذ منهم العربية الخالصة، ويعرف لهجاتها ولغاتها، وأذكّر القارئ الكريم بما قاله الفضل بن شاذان عن الإمام الكسائي كما جاء في غاية النهاية:

"وقال الفضل بن شاذان لما عرض الإمام الكسائي على حمزة خرج إلى البدو فشاهد العرب وأقام عندهم حتى صار كواحد منهم ثم دنا إلى الحضر وقد علم اللغة"[1].أ.هـ

والمقصد في هذا المبحث بيان بعض النماذج التي نص فيه الإمام الكسائي على الرجوع إلى مأثورات العرب، وقد أعمل الإمام الكسائي ما جمعه من اللغات، وتعلمه من اللهجات في تفسير القرآن الكريم، حتى أصبحت أقوال العرب وأشعارها من مصادره الأصيلة في اختياراته التي تعُنى بتفسير القرآن الكريم، ويكفي دليلا على ذلك أيضا أننا نلحظ في معاني القرآن للفراء أنه يقول مرارا (أنشدني الكسائي)[2]، فيروي عنه أشعار العرب التي تساعد في فهم اللفظ ومدلولاته، ومن هذه النماذج:

---

(1) **غاية النهاية** [536]

(2) تكرر ذلك في معاني القرآن للفراء ما يزيد على عشر مرات، إضافة إلى ما نقله الكسائي عن لغة العرب وأورده الفراء في كتابه.

النموذج الأول: استشهاده بما ورد من أشعار العرب:

قال الإمام الكسائي – رحمه الله– في تفسير قوله تعالى– : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (51) ﴾ [الدخان: 51] : (المقام–بالفتح– المكان، والمقام –بالضم–الإقامة، كما قال: عفت الديار محلها فمقامها).

التوثيق:

ذكر هذا القول عن الإمام الكسائي، القرطبي في تفسيره(1).

عرض وتحليل:

بعد ذكر آيات الوعيد للمجرمين وبيان أصناف العذاب الذي أعده الله Y لهم أتبع الحق سبحانه الوعيد بالوعد والنذارة بالبشارة فقال Y ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (51) ﴾ وفي بلاغة التعبير بهذا الأسلوب يقول الطاهر بن عاشور:

"والمراد بالمقام المكان فهو مجاز بعلاقة الخصوص والعموم. والأمين بمعنى الآمن والمراد: الآمن ساكنه، فوصفه بـ (أمين) مجاز عقلي كما قال تعالى: ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (3) ﴾ [التين: 3]والأمن أكبر شروط حسن المكان لأن الساكن أول ما يتطلب الأمن وهو السلامة من المكاره والمخاوف فإذا كان آمنا في منزله كان مطمئن البال شاعرا بالنعيم الذي يناله"(2).

---

(1) **تفسير القرطبي** [152/16] والبيت المستشهد به هو مطلع معلقة لبيد بن ربيعة، والبيت بتمامه:

عَفَتِ الدِّيَار مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا ... بِمِنىً تَأَبَّد غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا

شرح المعلقات السبع [ص:171] لحسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، ط. دار احياء التراث العربي، الطبعة: الأولى 1423هـ - 2002)

(2) **التحرير والتنوير** [317/25]

وقد تواتر في قوله (مقام) قراءتان بفتح الميم وضمها، فقد "قرأ نافع وابن عامر: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ وهو الموضع الثاني في سورة الدخان بضم الميم الأولى وقرأ غيرهما بفتحها. واحترز بالثاني عن الأول وهو: وَمَقَامٍ كَرِيمٍ فقد اتفق القراء على قراءته بالضم"(1).

وتأتي دراسة هذا النموذج من ناحيتين:

الأولى: ما ارتآه الإمام الكسائي من أن هناك فرقا بين المقام- بفتح الميم- والمقام –بضم الميم- وقراءته –رحمه الله- بالفتح، فهي بالفتح المكان، وبالضم يقصد بها الإقامة، وهو رأي جمع من العلماء منهم: الإمام الطبري في تفسيره(2)، و الإمام الفراء في معانيه (3)، والإمام الزمخشري(4) في تفسيره قائلا: (قرئ: في مقام، بالفتح: وهو موضع القيام، والمراد المكان، وهو من الخاص الذي وقع مستعملا في معنى العموم. وبالضم: وهو موضع الإقامة) (5) أ. هـ

(1) **الوافي في شرح الشاطبية** [ص: 344]

(2) **تفسير الطبري** [50/22]

(3) **معاني القرآن** [44/3]

(4) الزمخشري: محمود بن عمر بن محمد بن عمر العلامة أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي، توفي سنة (538هـ) **طبقات المفسرين** للسيوطي [120/1]

(5) **الكشاف** [282/4]

الثانية: أن الإمام الكسائي أكد ما ذهب إليه في هذه التفريق بين قراءة الفتح والضم بشاهد من فصيح شعر العرب، وهو قول لبيد بن ربيعة[1] :

عَفَتِ الدِّيَار مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا ... بِمِنىً تَأَبَّد غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا

ومحل الشاهد في البيت أن الشاعر عبر عن الإقامة بالضم في قوله (فمقامها)- يقصد الإقامة وحالها- وهو شاهد يدعم ما ذهب إليه من الفرق بين القراءتين.

تعقيب:

يظهر من خلال هذا ما تم عرضه وتحليله نتيجتان:

الأولى: استشهاد الإمام الكسائي لما يذهب إليه بأشعار العرب في تأييد قوله، والشعر لا شك ديوان العرب وميزان من موازين الترجيح بين الأقوال في التفسير.

الثانية: وهي أن في كثير من الأقوال المنقولة عن الإمام الكسائي يوجه اختلاف اللغات على أن كليهما من لغة العرب، ولكن إذا بدا بينهما فرق كما في هذا النموذج فإنه يقول به، ويستشهد له بما يرجحه ويجعله محل القبول.

(1) لبيد: لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة الشاعر. ويكنى أبا عقيل. قدم على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأسلم ورجع إلى بلاد قومه ثم هاجر إلى الكوفة فنزلها ومعه بنون له. ومات بها ليلة نزل معاوية النخيلة لمصالحة الحسن بن علي. رحمهما الله. **الطبقات الكبرى** [107/6]

النموذج الثاني:

قال الإمام الكسائي في تفسير قوله –تعالى– ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ (88) ﴾ [البقرة: 88]

حكى الإمام الكسائي عن العرب: (مررتُ بِبلادٍ قل ما تُنبت إلا البصل والكرّاث. أي ما تنبت).

التوثيق:

عزا هذا القول للإمام الكسائي، مكي بن أبي طالب(1) في الهداية(2)، و السمعاني(3) في تفسيره(4).

عرض وتحليل:

في سياق الحديث عن قبائح بني إسرائيل ومعاندتهم أنبياءهم عليهم السلام تأتي هذه الآية الكريمة فهي " بيان لفن آخر من قبائحهم على طريق الالتفات إلى الغيبة إشعارا بإبعادهم عن رتبة الخطاب لما فصل من مخازيهم الموجبة للإعراض عنهم وحكاية نظائرها لكل من يفهم بطلانها وقباحتها من أهل الحق والقائلون هم الموجودون في عصر النبي ρ

(1) مكي بن أبي طالب: العلامة المقرئ، أبو محمد، مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار، القيسي القيرواني، ثم القرطبي، توفي سنة (437هـ) . سير أعلام النبلاء [232/13]

(2) الهداية **إلى بلوغ النهاية** في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه[433/1]، لأبي محمد مكي بن أبي طالب . ط. مجموعة بحوث الكتاب والسنة –كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة الطبعة: الأولى،(1429 هـ – 2008 م)

(3) السمعاني: محمد بن منصور بن محمد ،الإمام الكبير أبو بكر بن الإمام أبي المظفر بن الإمام أبي منصور بن السّمعانيّ، توفي سنة (510هـ) . **طبقات المفسرين** للداودي [258/2هـ]

(4) **تفسير القرآن**[107/1]، لأبي المظفر، السمعاني ، ط. دار الوطن، الرياض – السعودية، ط.الأولى، 1418هـ- 1997م)

و ﴿غُلْفٌ﴾ جمع أغلف مستعار من الأغلف الذي لم يختن أي مغشاة بأغشية جبلية لا يكاد يصل إليها ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولا تفقه كقولهم ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ﴾ وقيل هو تخفيف غلف جمع غلاف"(1).

و﴿ بَلْ﴾ رد لكلامهم، والباء في قوله ﴿ بِكُفْرِهِمْ﴾ للسببية، قال البيضاوي:

"﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾رد لما قالوه، والمعنى أنها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق، ولكن الله خذلهم بكفرهم فأبطل استعدادهم، أو أنها لم تأب قبول ما تقوله لخلل فيه، بل لأن الله تعالى خذلهم بكفرهم"(2)

وقد تناول الإمام الكسائي في هذا النموذج التعبير القرآني (فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ)، ويرى أن التعبير بالقلة هنا يفيد النفي البتة، قليلا ما يؤمنون أي: لا يؤمنون أصلا، وحكى الكسائي عن العرب قولهم (مررتُ بِبلادٍ قل ما تُنبت إلا البصل والكرّاث. أي ما تنبت)، وهو قول محتمل في معنى الآية مسموع في كلام العرب، ويستشهد له أيضا بقول الشاعر:

قليل التشكي للمهم يصيبه ... كثير الهوى شتى النوى والمسالك(3)

قال الطاهر بن عاشور-رحمه الله-: "ويجوز أن يكون (قليلا) هنا مستعملا في معنى العدم فإن القلة تستعمل في العدم في كلام العرب قال أبو كبير الهذلي(1):

---

(1) **إرشاد العقل السليم** [127/1]

(2) **تفسير البيضاوي** [93/1]

(3) البيت لـ (تأبط شرا) نسبه إليه ابن عبد ربه في **العقد الفريد** [107/1]،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، 1404 هـ، و**شرح ديوان الحماسة** للتبريزي [ص:21]، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1424 هـ – 2003 م لم أقف على من نسبه لأبي كبير الهذلي كما قال الطاهر بن عاشور- رحمه الله-

قليل التشكي للمهم يصيبه ... كثير الهوى شتى النوى والمسالك

أراد أنه لا يتشكى، وقال عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود(2) في أرض نصيبين(3) «كثيرة العقارب قليلة الأقارب» أراد عديمة الأقارب ويقولون: فلان قليل الحياء وذلك كله إما مجاز – عن العدم- لأن القليل شبه بالعدم وإما كناية- عن انعدام الحياء واضمحلاله- وهو أظهر لأن الشيء إذا قل آل إلى الاضمحلال"(4)أ0هـ

تعقيب:

أكد هذا النموذج أيضا أن الإمام الكسائي –رحمه الله- اعتمد لغة العرب وعاداتها في الكلام كأداة من أدوات التفسير، جمع مادتها من العرب الخلص، وملازمة العلماء أهل اللغة، فأعطى ذلك لأقواله في التفسير مكانة وقبولا.

=

(1) أبو كبير الهذلي: عامر بن الحليس الهذلي، أبو كبير، من بني سهل بن هذيل، أدرك الإسلام، وأسلم، وله خبر مع النبي- صلى الله عليه وسلّم- **الأعلام** [250/2] ط. دار الكتب العلمية – بيروت

(2) عون بن عبد الله: عون بن عبد الله بن عون بن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي توفي سنة (193). **تاريخ الإسلام** [1177/4]

(3) نصيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادّة القوافل من الموصل إلى الشام. **معجم البلدان** [288/5]

(4) **التحرير والتنوير** [600/1] لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)

الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: 1984 هـ

المبحث السادس

أقوال الإمام الكسائي في تعليل الوقف والابتداء

قدم أئمة التفسير جهدا كبيرا في بيان مواطن الوقف والابتداء؛ حيث يعين العلم بمواطن الوقف والابتداء على تدبر الآيات، وتفصيل المعاني وتذوق بلاغة الوحي الكريم، ومن أهم الخطوات التي يستنبط بها مواطن الوقف والابتداء الإلمام بأدوات التفسير من معرفة معاني الكلمات، وسبب النزول، ووجوه الإعراب وغيرها.

ومن أهم التفاسير التي جعلت لمعرفة الوقف مساحة في تصانيفهم :

1- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لـ(نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، المتوفى: 850هـ)، حيث اعتنى بذكر مقدمة عن علم الوقف في أول تفسيره، وفصل مواطن الوقوف وأقسامها بعد ذلك عند تفسيره لكل آية من آيات القرآن الكريم قبل الخوض في بيان معناها.

2- تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر، لـ (موفق الدين الكواشي المتوفى سنة 680هـ) وتلخيصه الذي اختصر فيه الكواشي التبصرة (التلخيص في التفسير) وهما من الكتب التي اعتنت بقضية الوقف وتوجيهها إعرابا ومعنى، وفي هذا الفن أيضا كان للإمام الكسائي باع طويل وجهد مشهود، ظهر أثناء البحث عن أقواله في الوقف والابتداء في كتب التفسير وكتب الوقف والابتداء ومن النماذج على ذلك:

النموذج الأول:

قال الإمام الكسائي في نوع الوقف على قوله –تعالى– ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (15)﴾ [العنكبوت: 15]

قال أبو جعفر النحاس:

"﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (15)﴾ [العنكبوت: 15]ليس بتمام عند الكسائي، لأن عنده ﴿وَإِبْرَاهِيمَ ﴾ [العنكبوت: 16] منصوب؛ لأنه نسق على الهاء التي في ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾ [العنكبوت: 15] أو على ﴿نُوحًا﴾ [العنكبوت: 14]أي ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وهو تمام عند محمد بن جرير، لأنه يقدره بمعنى: واذكر إبراهيم"(1).أ.هـ

عرض وتحليل:

تأتي الآية الكريمة في سياق الحديث عن قصة نبي الله نوح عليه السلام التي بدأت بقول الله ﷻ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (14) ﴾ [العنكبوت: 14]، فالضمير في قوله ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾ يعود على نبي الله نوح عليه السلام ، وأصحاب السفينة هم من كانوا معه والضمير في ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ يعود على السفينة قال البيضاوي(2): "فَأَنْجَيْناهُ أي نوحا عليه السلام. وَأَصْحابَ السَّفِينَةِ ومن أركب معه من أولاده وأتباعه وكانوا ثمانين. وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم إناث. وَجَعَلْناها أي السفينة أو الحادثة، آيَةً لِلْعالَمِينَ يتعظون ويستدلون بها".

---

(1) **القطع والائتناف** [ص:520] لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النَّحَّاس، ط. دار عالم الكتب – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1413 هـ - 1992 م

(2) **تفسير البيضاوي** [190/4]

اختار الإمام الكسائي –رحمه الله– في قوله تعالى ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (15)﴾ أن الوقف على رأس هذه الآية ليس تاما وعلل ذلك بأن قوله –تعالى– ﴿وَإِبْرَاهِيمَ ﴾ [العنكبوت: 16] منصوب عطفا على قوله –تعالى– ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى﴾ [العنكبوت: 14]، أرسلنا نوحا وإبراهيم، أو عطفا على الضمير في قوله –تعالى– ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾ [العنكبوت: 15]أي أنجينا نوحا وأنجينا إبراهيم، وطالما كان الإعراب على هذا الوجه فلا يتم الوقف فالوقف التام عند علماء الوقف هو: الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ولا يكون بعده ما يتعلق به(1).والذي ارتآه الإمام الكسائي لا يكون الوقف تاما للتعلق حيث إنه –الكلام– لم يتم بعد، ولكن هو من باب الوقف الكافي لأنه يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده(2).

تعقيب:

ظهر من هذا النموذج الذي ذكرته عن الإمام الكسائي أن ما ذهب إليه من أن الوقف كاف وليس تاما قول له وجه في العربية، وذلك لتعلق الكلام بما بعده ولا يتضاد هذا مع القول بتمام الوقف على رأس الآية؛ لأن من ذهب إلى القول بالتمام قدر الآية (واذكر إبراهيم)، على أنه كلام مستأنف جديد لا تعلق له بما قبله.

(1) **الإتقان في علوم القرآن** [284/1]

(2) الوقف الكافي هو: منقطع في اللفظ متعلق في المعنى: فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده. **الإتقان** [ص:285]

النموذج الثاني:

قول الإمام الكسائي في الوقف على قوله –تعالى- ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (78)﴾ [الصافات: 78]

قال النكزاوي(1) في الاقتداء:

"قال الكسائي قوله ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (78) ﴾ ليس بكاف ولا تام، والتقدير عنده: وتركنا عليه في الآخرين هذا السلام وهذا الثناء"(2)

عرض وتحليل:

تناولت سورة الصافات ذكر قصص عدد من الأنبياء عليهم السلام ومنها قصة نوح عليه السلام والتي بدأها الحق Y بقوله ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (75)﴾ [الصافات: 75]، ويتعلق قول الإمام الكسائي في هذا النموذج بقوله Y ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (78)﴾ ومعنى الآية الكريمة " وَتَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ معناه ثناء حسنا جميلا آخر الدهر، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي، وقوله سَلامٌ على هذا التأويل رفع بالابتداء مستأنف سلم الله به عليه ليقتدي بذلك البشر"(3) .

وقد رأى الإمام الكسائي في هذا الموضع أن الوقف على رأس الآية ليس تاما، وذلك لتعلق الآية بما بعدها فلا ينطبق عليها ضابط الوقف التام، فقوله –تعالى- ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (79)﴾ في محل نصب مفعول لقوله ﴿وَتَرَكْنَا﴾ [الصافات: 78]،

(1) النكزاوي: عبد الله بن محمد بن عبد الله، القاضي، الإمام، معين الدين، أبو محمد النكزاوي، المقرئ، النحوي، توفي سنة (683هـ). **تاريخ الإسلام** [496/15]

(2) **الاقتداء في الوقف والابتداء** [ص: 1433] لأبي محمد النكزاوي، عن رسالة دكتوراه من تحقيق الباحث/ مسعود أحمد إلياس، كلية القرآن الكريم –الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة (1413هـ).

(3) **تفسير ابن عطية** [477/4]

وإليه أشار الطبري بقوله "وقد كان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يقول: معناه: وتركنا عليه في الآخرين ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ﴾ أي تركنا عليه هذه الكلمة، كما تقول: قرأت من القرآن (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) فتكون الجملة في معنى نصب" (1)أ.هـ

واختلاف علماء الوقف راجع إلى اختلاف الأقوال في تفسير الآية ، قال النحاس: "﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (78)﴾ [الصافات: 78]فليس بكاف على تقدير الكسائي والتقدير عنده وتركنا عليه في الآخرين هذا السلام وهذا الثناء وهذا قول أبي العباس محمد بن يزيد(2) والمعنى عنده وتركنا عليه في الآخرين يقال ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (79)﴾ [الصافات: 70]وفيه تقدير آخر يكون معنى ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ ﴾وأبقينا عليه وتم الكلام"(3).

والمعنى: أبقينا عليه في الآخرين الذين نجيناهم من الغرق، فالوقف هنا تام على هذا التقدير، وهذا هو المعنى الثاني.

تعقيب:

بنى الإمام الكسائي –رحمه الله– قوله بعدم التمام في الوقف على قوله –تعالى– ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (78) ﴾ [الصافات: 78]على ما ذهب إليه في معنى الآية، جاء في منار الهدى:

(1) **تفسير الطبري** [60/21]

(2) محمد بن يزيد: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر أبو العباس المبرّد، المتوفى سنة (286هـ). **إنباه الرواة** [251/3]

(3) **القطع والائتناف** [ص590]

"﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (78)﴾ [الصافات: 78] تام، وقال الإمام الكسائي: ليس بتام؛ لأن التقدير عنده [وتركنا عليه في الآخرين هذا السلام وهذا الثناء]. قاله النكزاوي، وهو توجيه حسن"(1).

وهناك نماذج أخرى كثيرة حفظتها كتب الوقف والابتداء تبين جهد الإمام الكسائي في تعليل الوقف، ويظهر من خلال استقرائها أنه يعتمد وجوه العربية في الأخذ بالوقف والابتداء ويراعي المعنى دون إغراب أو اعتماد للوجوه الضعيفة.

❁❁❁

(1) **منار الهدى في الوقف والابتدا** [197/2] لأحمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الأشموني المصري الشافعي (المتوفى: نحو 1100هـ)، المحقق: عبد الرحيم الطرهوني، ط. دار الحديث – القاهرة، مصر (2008)

خاتمة البحث:

أولا- أهم النتائج:

النتيجة الأولى: أن مِن أئمة القراءات العشر مَن لم يقتصر على إتقان الرواية فقط، بل أتقن الرواية والدراية، وأعمل أدواته العلمية في معرفة المراد من المفردة القرآنية قدر الطاقة البشرية.

النتيجة الثانية: غلب على الإمام الكسائي في أقواله الصنعة اللغوية باختلاف علومها إعرابا وشعرا ورواية عن العرب، فقلّ إزاء ذلك استناده على المأثور من السنة.

النتيجة الثالثة: يلاحظ على أقوال الإمام الكسائي خلوها التام عن قضايا مهمة في علوم القرآن كان لعلماء زمانه أقوال فيها ، مثل : قضية النسخ وأسباب النزول وفضائل السور، ولعل ذلك موجود في كتابه الذي لم يصل إلينا ولكن باستقراء المجموع من أقواله لم نقف على شيء من ذلك.

النتيجة الرابعة: تميزت أقوال الإمام الكسائي -رحمه الله- ببعدها عن التعصب والغلو، أو التعريض تصريحًا أو تلميحًا بأقوال مخالفيه، لا سيما وهو في ذروة التنافس بين مدرستي البصرة والكوفة، إلا أنه كان يكتفي بذكر ما يذهب إليه ويستشهد له بما تيسر له من الشواهد الشعرية والنثرية من كلام العرب أو السنة النبوية، وهذا دليل على أنه —رحمه الله- لا يعني بأقواله ردَّ اختيارات مخالفيه لا سيما في القراءات، بدليل أنه عرض القرآن على الإمام حمزة وله اختيارات تختلف عن قراءة الإمام حمزة، والتقى بالإمام الأخفش الذي كان قادما من مدرسة تسامي مدرسة الإمام الكسائي وهي مدرسة البصرة بل كان الإمام الأخفش القادم من البصرة مؤدبا لولد الإمام الكسائي إمام مدرسة الكوفة.

النتيجة الخامسة: خلت أقوال الإمام الكسائي –رحمه الله– من الإغراب في التوجيه، وتلمس المعاني البعيدة، بل أحيانا إذا لم يلتمس فرقا بين قراءتين أو لغتين قال هما من لغات العرب.

ثانيا– أهم التوصيات:

أولا– توسيع البحث في تراث الإمام الكسائي –رحمه الله– بالدراسة والتحليل لا سيما ما يخص منها التفسير وعلوم القرآن الكريم، بحيث يكون ذلك في بحوث أوسع وأشمل.

ثانيا– أن تتطرق يد البحث إلى المقارنة بين جهود المفسرين المعنيين بمعاني القرآن، وبين الإمام الكسائي –رحمه الله– للوقوف على ثمرة هذه الجهود وأقربها قبولا في تفسير القرآن الكريم.

ثالثا– الاهتمام بأقوال المفسرين الذين فُقدت مصنفاتهم، ولهم أقوال منثورة في كتب التفسير واللغة والمفردات، فإن جمع هذه الأقوال يعطي تصورا شبه متكامل عن المصنف المفقود وجوانب الشخصية العلمية لمصنفه.

والله ولي التوفيق وهو الهادي إلى سواء السبيل

ثبت المراجع

أولًا- القرآن الكريم

ثانيا- كتب التفسير وعلوم القرآن:

- **إتحاف فضلاء البشر إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر** المؤلف: أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء (ت ١١١٧هـ)
- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، للعلامة أبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، طبعة : دار إحياء التراث العربي – بيروت
- **إعراب القرآن** ، لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: 338هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط. منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى(1421 هـ)
- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ
- **الإتقان في علوم القرآن** للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم [ت 1401 هـ]، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: (1394 هـ- 1974 م)
- **الاقتداء في الوقف والابتداء لأبي محمد النكزاوي**، عن رسالة دكتوراه من تحقيق الباحث/ مسعود أحمد إلياس، كلية القرآن الكريم –الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة (1413هـ).
- **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة** للشيخ/ عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: 1403هـ) ط. دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان
- **البحر المحيط** المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، ط. (1420 هـ)
- **تفسير القرآن** لأبي المظفر، السمعاني ، ط. دار الوطن، الرياض – السعودية، ط. الأولى(1418هـ-1997م)
- **التحرير والتنوير** لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، ط (1984 هـ)
- **جامع البيان في تأويل القرآن** ، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى(1420 هـ - 2000 م)

- **الجامع لأحكام القرآن** لأبي عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط. دار الكتب المصرية – القاهرة
- **حرز الأماني ووجه التهاني** المعروف بمتن (الشاطبية) للعلامة القاسم بن فيره الشاطبي، طبعة دار الغواثي للدراسات القرآنية.
- **الحجة** لأبي علي الفارسي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (المتوفى: 377هـ)
- المحقق: بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح – أحمد يوسف الدقاق، ط. دار المأمون للتراث – دمشق / بيروت، الطبعة: الثانية، (1413 هـ – 1993م)
- **الدر المصون: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون** لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي ، ط. دار القلم، دمشق
- **شرح طيبة النشر** المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، (1420 هـ – 2000م)
- **غيث النفع في القراءات السبع** لعلي بن محمد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي المقرئ المالكي ط .دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى،(1425 هـ – 2004 م)
- **القطع والائتناف** لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النَّحَّاس، ط. دار عالم الكتب – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى(1413 هـ – 1992 م)
- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) ط. دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة (1407 هـ)
- **الكشف والبيان عن تفسير القرآن** المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ)، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى (1422، هـ – 2002 م)
- **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو ،ةط. دار الكلم الطيب، بيروت، ط. الأولى(1419 هـ – 1998 م)
- **معاني القرآن** لأبي الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: 215هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة. ط. مكتبة الخانجي، القاهرة
- **مفاتيح الغيب** [التفسير الكبير] المؤلف : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت– ط. الثالثة (1420 هـ)

- **منار الهدى في بيان الوقف والابتدا** لأحمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الأشموني المصري الشافعي (المتوفى: نحو 1100هـ)، المحقق: عبد الرحيم الطرهوني، ط. دار الحديث - القاهرة، مصر (2008)
- **موسوعة التفسير قبل عهد التدوين** المؤلف: محمد عمر الحاجى، ط. دار المكتبى – دمشق- الطبعة: الأولى (1427 هـ - 2007 م)
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط. دار الكتب العلمية – بيروت- ط. الأولى (1422 هـ)
- **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه** ،لأبي محمد مكي بن أبي طالب . ط. مجموعة بحوث الكتاب والسنة -كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى،(1429 هـ - 2008 م)
- **الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع**، المؤلف: عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: 1403هـ)، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الرابعة (1412 هـ - 1992 م)

ثالثا -كتب الحديث:

- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه** ، لمحمد بن إسماعيل ، أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط. دار طوق النجاة ط. الأولى (1422هـ)
- **الدعاء** لأبي القاسم الطبراني، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى(1413)
- **غريب الحديث**، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، (1405 – 1985)
- **المعجم الكبير** لأبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة

رابعا-كتب اللغة:

- **ديوان العرجي**، جمع وتحقيق الدكتور/ سجيع الجبيلي ، ط. دار صادر بيروت
- **شرح المعلقات السبع** لحسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَنِي، ط. دار احياء التراث العربي، الطبعة: الأولى (1423هـ - 2002)
- **شرح ديوان الحماسة** للتبريزي دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان

- **العقد الفريد** لناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1404 هـ، الطبعة: الأولى، (1424 هـ – 2003 م)
- **القاموس المحيط** المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة،(1426 هـ – 2005 م)
- **لسان العرب** لجمال الدين ، ابن منظور الأنصاري الرويفعي، الإفريقي ، ط. دار صادر – بيروت، ط. الثالثة(1414 هـ)
- **معجم مقاييس اللغة** لأبي الحسين أحمد بن فارس، الناشر: دار الفكر- (1399هـ – 1979م)

خامسا- كتب التراجم والطبقات:

- **الأعلام** لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، ط. الخامسة عشرة –(أيار / مايو 2002 م)
- **إنباه الرواة على أنباه النحاة** لجمال الدين ، أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، ط. المكتبة العصرية، بيروت (الطبعة: الأولى، 1424 هـ)
- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) ط. المكتبة العصرية - لبنان / صيدا
- **تاريخ الإسلام** للحافظ شمس الدين الذهبي ط. دار الغرب الإسلامي، ط. الأولى (2003 م)
- **تاريخ بغداد** المؤلف : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ) طبعة: دار الغرب الإسلامي – بيروت (الطبعة الأولى، 1422هـ - 2002 م)
- **تاريخ دمشق** لأبي القاسم علي بن المعروف بابن عساكر ، ط. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (1415 هـ - 1995 م)
- **تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم**. لأبي المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري (المتوفى: 442هـ) الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة ط. الثانية (1412هـ - 1992م)
- **تقريب التهذيب** أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني الناشر: دار الرشيد – سوريا ، ط. الأولى (1406 – 1986)
- **سير أعلام النبلاء** للحافظ شمس الدين الذهبي، دار الحديث- القاهرة، الطبعة: (1427هـ-2006م)
- **الطبقات الكبرى** لأبي عبد الله محمد بن سعد البصري، ط. دار الكتب العلمية – بيروت- ط. الأولى، (1410هـ - 1990 م)
- **طبقات الحفاظ** للسيوطي، ط. دار الكتب العلمية – بيروت

- **طبقات الفقهاء** أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي ، ط. دار الرائد العربي، بيروت
- **طبقات المفسرين** للدوادي لمحمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، ط. دار الكتب العلمية – بيروت
- **غاية النهاية** للعلامة الشيخ شمس الدين ، أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)، ط. مكتبة ابن تيمية.
- **معجم البلدان** لشهاب الدين الحموي، ط. دار صادر، بيروت، ط. الثانية، (1995 م)،
- **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار** للحافظ شمس الدين الذهبي ، ط. دار الكتب العلمية
- **نزهة الألباء في طبقات الأدباء** لكمال الدين الأنباري (المتوفى: 577هـ)، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن الطبعة: الثالثة،(1405 هـ - 1985 م)
- **وفيات الأعيان** لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ) ط. دار صادر – بيروت.

فهرس الموضوعات

المقدمة 95
التمهيد: 99
الفصل الأول: دراسة موجزة لحياة الإمام أبي الحسن الكسائي ونشأته العلمية..... 105
المبحث الأول: ترجمة موجزة للإمام الكسائي..... 106
المبحث الثاني: الأثر العلمي للإمام أبي الحسن الكسائي..... 111
الفصل الثاني: أقوال الإمام الكسائي في تفسير المفردة القرآنية –نماذج مختارة–.. 117
المبحث الأول: أقوال الإمام الكسائي في تفسير المفردة القرآنية..... 118
المبحث الثاني: أقوال الإمام الكسائي في إعراب المفردة القرآنية..... 124
المبحث الثالث: أقوال الإمام الكسائي في توجيه القراءات..... 129
المبحث الرابع: أقوال الإمام الكسائي في التفسير بالمأثور من حديث رسول الله –ρ–... 137
المبحث الخامس: أقوال الإمام الكسائي في التفسير بما أثر من لغة العرب..... 144
المبحث السادس: أقوال الكسائي الإمام في تعليل الوقف والابتداء..... 151
الخاتمة 157
فهرس المراجع 159
فهرس الموضوعات 164